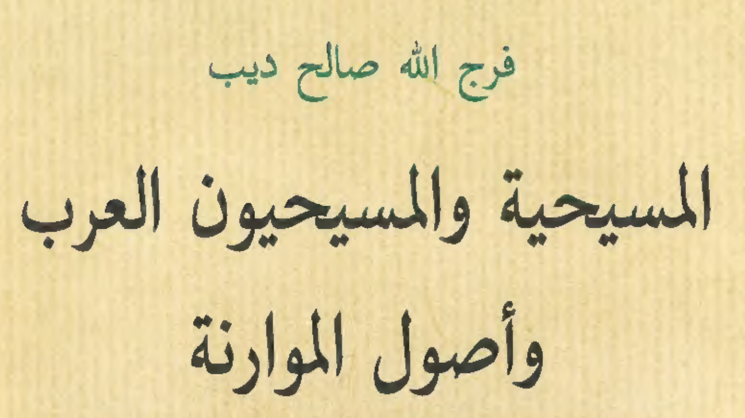
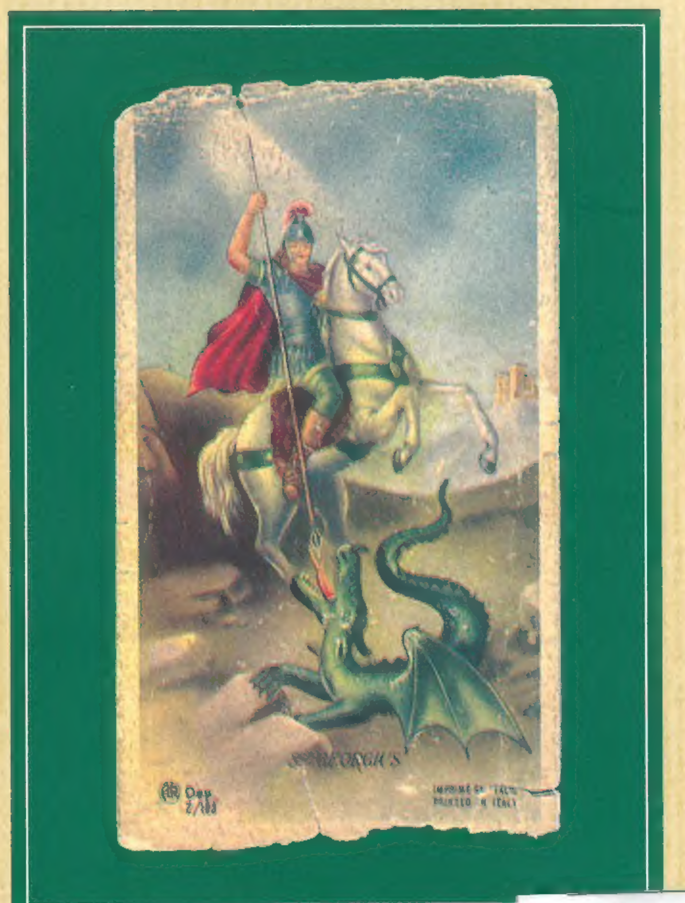


فرج الله صالح ديب

المسيحية والمسيحيون العرب وأصول الموارنة





فرج الله صالح ديب

المسيحية والمسيحيون العرب وأصول الموارنة





إن الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن وجهة نظر الكاتب

الطبعة الأولى

١٩٩٥



بناية نوفل – شارع المعماري

تلفون (الحمراء): ٣٥٤٨٩٨ – ٣٥٤٣٩٤

(سن الفيل): ٤٩٩٠٧٤

ص.ب: ٢١٦١ / ١١ أو ٥٤٢٢ / ١١٣

بيروت – لبنان

الإهـداء

إلى صباح رشاد عريس

المقدمة

لأن التأريخ اداة صراع بين الطوائف - العشائر اللبنانية، ولأننا نطمح إلى صناعة وطن، فإننا نسعى دائماً إلى تحقيق وحدة النظرة التاريخية التي غيبت بفعل تأخر التأريخ لدينا. وهذا الكتاب بفصوله الثلاثة يتناول المسيحية في نشأتها ودور المسيحيين العرب وأصولهم، والتعامل معهم خلال الدول الإسلامية المتعاقبة ومضمون هذا التعامل. ويتناول تصحيحاً لما هو مسود في الأدبيات عن أصول عشائر الموارنة. واخيراً يتناول حكايات مار جريس ودلالاتها التاريخية في اليمن وفلسطين ولبنان ومصر.

عندما سُئل النبي العربي الكريم عن الإيمان قال: «انه تصديق بالقلب وقول باللسان..»، وبالتالي فالإيمان المتوارث بالقلب لدى الفرد، يجب ان يكون الآن خارج المماحكة العقلية للآخر المؤمن بقلبه وبما ورثه ايضاً. ومن هنا، فانني كمواطن غير مسيحي أتناول هذه

الموضوعات بما اوتيت من موضوعية، ولكن بكل ما اكن من احترام ومحبة، لأن فهمنا للمسيحية فهم لأنفسنا وتاريخنا، ولأن الأوطان لا تعطى من التاريخ، بل تصنع كفعل تاريخي.

١٩٩٤/١/١٨

فرج الله صالح ديب

الفصل الأول

المسيحية والمسيحيون العرب

لأننا لم نبلغ المرحلة العقلانية التي تنشأ بعد عدة ثورات سياسية واجتماعية وعلمية، ابسط مظاهرها المؤسسات السياسية، والحريات المنتزعة دونما تراجع، والإنتظام السياسي والنقابي، والسيطرة على موارد الطبيعة وقولبة خاماتها، وانتاج الصناعات المرتبطة بسيادة قيم إحترام الفرد وعقله ونتاجه ورأيه ووقته، وإحترام المرأة كطاقة منتجة ومبدعة. لغياب كل ذلك، فإن التناول التاريخي الإجتماعي لكل ما له علاقة بالإيمان يبقى خارج متناول النقد حتى الآن. وبالتالي فإننا مع المثل الشعبي «كل من على دينه الله يعينه».

ومن هنا، فإن اهتمامنا بالتاريخ اهتمام بالحاضر والمستقبل، لأن التاريخ وقولبته لصالح التشاوف العشائري الطوائفي، يجعله مادة حاضرة واداة صراع. وتحت هذا العنوان نتناول المسيحية والمسيحيون العرب بكل محبة وإحترام.

الغالب السياسي الفاسد يستعير ديانة المغلوب

في القرن الاول قبل الميلاد، إستطاعت امبراطورية الرومان ان تسود على حطام امبراطورية اليونان التي كانت متآخية مع عدة آلهة مؤنثة ومذكرة بلغ عددها عدد الأسئلة التي طرقت باب العقل والوعي اليوناني. وإذا كان تاج الامبراطورية في روما، فإن جسدها كان في آسيا الصغرى والعالم العربي وكذلك عقلها.

وعندما انقسمت الامبراطورية الرومانية إلى قسمين، غربي عاصمته روما، وشرقي عاصمته القسطنطينية، إستطاع القوط الشرقيين المتأخرين القضاء على روما عام ٤٧٦م، في حين بقيت الامبراطورية الشرقية البيزنطية في القسطنطينية (إستانبول)، حتى سقوطها على يد محمد الفاتح العثماني في القرن ١٥م.

ومنذ بدايات الامبراطورية الرومانية، كانت المسيحية ايماناً منتشراً في العديد من العشائر العربية البدوية والحضرية، في مصر وبلاد الشام واليمن والبحرين والحجاز والشمال الإفريقي، وكانت تلاقي ابشع انواع الإضطهاد الذي بلغ ذروته أيام «دقلديانوس» بين ٢٧٥ و ٣٠٥م، الذي امتد إضطهاده إلى اليمن التي بقيت في ذاكرتها الشعبية عبارة للتأريخ: «حدث عام غزو دقيانوس».

ورغم ان الامبراطورية لم تكن لتفرض ديانة واحدة، او بالأحرى لم تكن تملك ديانة سماوية يمكنها فرضها، فإن تعدد العبادات كان ظاهرة عامة فيها، إلا ان إضطهاد المسيحية كان بعضه بتأثير اليهود

حيناً، وبتأثير نزعة التحرر من السيطرة الرومانية حيناً آخر. وفي ذروة إضطهاد المسيحية التي كان شعارها الغالب هو الأفعى كرمزٍ للحكمة كما ورد في الأناجيل، إنقلبت الامبراطورية لتستعير الدين المسيحي كدين للدولة وليتحول الإضطهاد اولاً إلى ارباب الوثنية حيثما وصلت السلطة. فلماذا استعار الغالب الذي يفرض ديانته عادة، ديانة المغلوب المضطهد؟ وكيف كانت اصولية المسيحيين الاوائل؟

ينقل المؤرخ الاميركي «ول ديورانت» في كتابه «قصة الحضارة» عن «جوفنال» Juvenal، وصَفاً لروما العاصمة قبل تحولها إلى المسيحية، جاء فيه:

«إنقرضت الأسر النبيلة، وحل محلها أُسر رجال الأعمال وأعيان بلاد إيطاليا وأشراف الولايات النائية. لكن لم يمض على هؤلاء الأعيان الجدد إلا جيل او جيلين حتى تخلقوا بأخلاق من سبقوهم، فقلَّ نسلهم وزاد ترفهم واستسلموا لتيار المهاجرين من الشرق. لقد كان اول القادمين هم اليونانيون الذين لم يكونوا بكثرتهم من بلاد اليونان الأصلية، بل كانوا من شمال افريقيا ومصر وسوريا وآسيا الصغرى، وكانوا على جانب كبير من الحماسة والنشاط ولين العريكة اشبه بأهل الشرق. وكان المسيحيون الاولون في روما يتكلمون اليونانية بغالبهم، وكذلك كان السوريون والمصريون واليهود، في حين كان السوريون النحاف الأجسام، الوادعون الضعفاء، الماكرون الدهاة، في كل مكان من العاصمة، يتاجرون ويقدمون صناعات يدوية وأعمال كتابية ومالية واحتيال على الناس. لقد كان السوريون واليونانيون يسيطرون على التجارة الدولية، فيما اليهود اصدقاء للأباطرة، اضافة إلى خليطٍ من

النوميديين والأحباش والقليل من العرب والبارثيين والأرمن». اما المؤرخ «تاستس» Tacitus (او تاقيطس كما يلفظ احياناً) فقد وصف روما بأنها بالوعة اقذار العالم. اذ بينما كانت الطائفة المسيحية القليلة العدد تقضُّ بتقواها ورقّة حاشيتها مضاجع العالم الوثني المنهمك بملذاته وشهواته، كانت الفقيرات من نساء روما يقاسين آلام الوضع ومتاعب تربية الابناء، وسط حذاقة المجهضين وانتشار عقاقير الاجهاض. وكان القول الشائع: إعطها الدواء وانت مغتبط لأنك قد تجد نفسك اباً لطفل حبشي. كان ثمة قوانين للعاهرات ومواخير خارج الاسوار، فيما المتزوجة صاحبة عاشقين فقط كانت تعتبر آية في الاخلاص، لأنه قلَّما ضمَّت الفرش الذهبية إمرأة حاملاً. وفي عادات الزواج كان دورٌ هام للخطَّابة وشيوع للطلاق في زواج مبني على التجارة، حيث يدفع العريس ثمن عروسه امام شهود خمسة وموافقة الولي، مع اذنٍ للزوجة بأن تغيب ثلاثة ايام كل عام. وإذا كان ثمن الزوجة ليس بمستغرب لشيوعه واستمرار ظلاله كإنعكاس لمرحلة الإنتقال من المشاعية إلى التملك الفردي، فإن العبد لم يكن له من حقوق على الإطلاق سوى كونه ملحقاً من متاع الاسياد.

هذه الصورة الإجتماعية التي قصدنا إقتصارها على موقع المرأة ومعنى الزواج، انما تعكس اخلاقية الفئات السائدة، في امبراطورية لا رابط لها سوى السيف. جماعات ولغات عدة، وعشائر غالبة تدفع العشور من غلّاتها الزراعية الرعوية، وفئة عسكرية ذات إمتيازات أشبه بالمماليك الذين يصلون إلى كرسي الامبراطور كفئة اكثر تنظيماً في

الدولة المترامية. وبين مماليك الدولة والمنتجين من حرفيين وعشائر زراعية ثابتة او رعوية متنقلة، كان التجار محور التراكم، والتجارة البعيدة المدى، التي تنقل سلعة من هنا إلى هناك او بالعكس، إحدى مصادر التراكم في كل الامبراطوريات التي سلفت او توارثت قبل العصر الرأسمالي الصناعي. وفي القاع، كان العبيد على بعد خطوة من النساء والأطفال وضعاف الأجسام حيث المنطق للذراع. لكن هذا الخليط غير المفروض عليه عقيدة محددة تمتع بغياب هذه العقيدة، بحريات في العبادة والبحث والفكر بصورة غالبة، حيث لم يكن الامبراطور، ولا ولاته ظلالاً لأية قوة إلاهية على الأرض، وان كان الامبراطور قد تمتع بقدسية هزيلة. ولذلك كان احياناً ارمنياً او شامياً من ولاية حمص، مثال «سفيروس» و«جوليا دمنة»، و«كاليغولا»، المحرَّف إسمه عن «كركلا»، وعربياً بدوياً «كفيليب». ولذلك كانت العبادات بقدر الجماعات. كان استخداماً للشموع في المعابد، وتقدمة للذبائح كظل لافتداء الإنسان، مع سحر وشعوذة وتعاويذ وحُجُب للتفاؤل ورعب من الأحلام والسعي لتفسيرها، وقرابين لآلهة شتى، حتى الآلهة «انونا» جامعة حبوب العالم إلى روما. لقد انبرت أقدام التماثيل من كثرة التقبيل، فيما بعض الكتابات على القبور قدّمت عيّنة عن وعي بعض المشتغلين بالفكر في حينه، مثال: «لا اؤمن بشيء وراء القبر» «لم اكن قد وجدت، لست موجوداً، لست ادري». «إذا مات الانسان يردُّ ما عليه من دينٍ إلى الطبيعة». وهنا دلالة ايضاً على ان الفلسفة اليونانية لم تمت مع الرومان.

القادمون من خارج العاصمة، جاءوا بأديانهم وآلهتهم وهياكلهم، التي انتشرت بين العامة دونما عوائق. لقد رفع الامبراطور «كلوديوس» القيود المفروضة على عبادة الأم العظمى، واجاز للرومان ان يكوّنوا كهنة لها وقائمين على خدمتها، فيما منافستها الكبرى في القرن الميلادى الأول كانت «ايزيس» المصرية، إلهة الإمومة والإخصاب التي عادت عبادتها وشيد لها الامبراطور «كاليغولا» صرحاً كبيراً. ومن اليونان جاءت ديانة «فيثاغورس» الداعية إلى عدم اكل اللحوم، ومن جنوب ايطاليا اعتقاد بعودة الأرواح إلى التجسد، ومن سوريا عبادة «أترجاس» والإله «عزيز» الوارد في النقوش اليمنية بكثرة وهو العزّى في الحجاز، والذي عرف رومانياً باسم «زيوس». وفيما كانت عبادة الشمس في بعلبك وحمص والحجر الاسود في حمص ايضاً، تعاظمت عبادة البعل السوري حتى اعتلى العرش احد كهنته وتسمى باسم «الجبالس» (اي عابد إله الشمس). أما عبادة الإله «يهوه» اليهودية، فكانت الوحيدة التي لا تقبل الشراكة، بربطها عصبية قرابة الدم باحتكار عبودية الإله «يهوه».

في هذا التيار الشرقي الجارف، استعاد الدين في القرن الثاني ما له من سلطان، فازدادت ثروة الكهنة، وشجع الأباطرة إقامة الهياكل لوثنيات شكلت اجمة من العقائد المتشابكة المتناقضة المتنافسة. عبادة «سيبل» عادت للإنتشار في عدة اقاليم حيث الحزن والصلاة والصوم في الربيع الذي ينتهي ببعثها، والتي كانت تسمى في روما باسم «أمنا». الإله «مثرا» الفارسي، القادم من تخوم الامبراطورية، إله للنور والحق

والطهر والشرف، يشفع عند ابيه ويكافح الشر والكذب والدنس، ورمزه الرسمي يصوره راكعاً على ظهر ثور يطعنه بالخنجر في عنقه، وكهنته عزّاب، عذارى، يتقبلون ويقدمون قرابين الطعام المقدس من الخبز والنبيذ، حيث يختتم عيده بدقات النواقيس. وفي ذلك الحين روّع الأباء المسيحيين بما وجدوه من أوجه شبه بين المسيحية والمثْراسية. اما خدمة «إيزيس»، فيصومون في مصر وروما لفترة طويلة في حالة ورع وتقشف وتطهر عبر الإنغماس بالماء المقدس والإعتراف وتقريب القربان، بينما الطلاب المبتدئون من عبدة «دمتر» يندبون معها اختطاف ابنتها إلى الجحيم، فيعمدون اثناء صومهم إلى تناول الكعك المقدس وخليط الدقيق والماء والنعناع، لتعرض في الليلة الثالثة مسرحية تمثل بعث الابنة «برسفوني». وكان الإشتراك الجماعي في تناول الطعام والشراب المقدسين من المظاهر الكثيرة الحدوث في اديان البحر المتوسط. وبينما كانت كل حادثة او ظاهرة نذير شؤم، كان بعض اليهود في مصر ينعزلون قريباً من بحيرة مريوط في بيع وصوامع بعيداً عن الملذات، وكان الوعاظ الذين يدعون ان الوحي قد هبط عليهم من السماء يجوبون الأقطار متنقلين من مدينة إلى اخرى.

في كتابه «حياة ابولونيوس»، صور «فيلوستراتس» اوائل القرن الثالث ملامح هذا النبي المبشر بقوله: انه منذ بلغ السادسة عشر من عمره، توقف عن اكل اللحوم وشرب الخمر، ولم يتزوج او يحلق لحيته قط، وانه امتنع عن النطق لخمس سنوات، ثم بادر إلى توزيع ارثه ليطوف الامبراطورية مؤمناً داعياً لجميع الآلهة لأن ورائها إله

واحد لا يحيط به العقل، وأن الروح تتجسد بعد الموت. ولأنه دعى إلى ضرورة المساعدة للفقراء والمرضى، اتهم باثارة الفتن واودع السجن الذي فرّ منه، ومات واتباعه يعلنون انه ظهر لهم مجدداً ثم رفع إلى السماء.

المسيحيات المنتشرة

في ظل هذا التعدد الهائل، كان الإيمان المسيحي متعدداً. وسائل الإتصال ضعيفة، والقرى والعشائر المنعزلة تعيش ايماناً طورته عبر إجاباتها الخاصة على الأسئلة، وعبر طقوس تمزج التدين المتعدد بالمسيحية. ففي غياب الدين الرسمي ينمو الدين الشعبي على مستوى الوعي البسيط. تمردات العبيد لا تنقطع، والمسيحية بوعدها بالخلود والسعادة الدائمة بعد حياة مذلة وفاقة ومحن وكدح، كانت اغراء جديداً للعامة، واخلاقاً مجسدة تعاند كل ممارسات الفساد الظاهرة، ونافذة خلاص من الافق المسدود اجمالاً. وإذا كانت اقدم نسخ الاناجيل تعود إلى القرن الثالث، فإن النسخ الأصلية قد انتشرت بحدود بين اعوام ٦٠ و ١٢٠م وتعرضت للنقل من اللهجات التي كانت تتناقلها بشكلها الزجلي الغنائي إلى اللغة اليونانية. وبما ان الاناجيل ليست سوى سيرة السيد المسيح وسنته، فإن مجال الطقوس كان مشرع الأبواب، ورسائل الرسل تقنن العبادة للمؤمنين. وإذا كانت الكتب الدينية عامة نادرة التداول حتى انتشار الطباعة والتعلم بالأمس القريب، فإن التدين كان بمستوى الثقافة الشعبية المتناقلة

المتوارثة، وهذا ينطبق على الأديان جميعاً، بل يزداد التدين الشعبي وتختفي الكتابات الدينية في مراحل القمع والإضطهاد التي كانت تتعاقب على المسيحيين في انحاء الامبراطورية، خاصة ان القاعدة الشعبية الأساسية للدين المسيحي في اوائل عهده، وبتأثير الرسل، كانت تنطلق من الاعتقاد بعودة المسيح ليطهر الأرض وليقيم ملكوت الله ويبعث الناس بأجسامهم. وكان هذا الإعتقاد كافياً لتعميم الإضطهاد، فالمملكة الامبراطورية لا تتسع لملكين ولو بالإيمان. واقدم ما ظهر من إشارات إلى السيد المسيح في آداب الرومان الوثنيين ما ورد في خطاب «بليني الأصغر» حوالى ١١٠م، يستشير فيه الامبراطور «تراجان» عن كيفية تعامله مع المسيحيين. وبعده بسنوات وصف المؤرخ «تاستس» إضطهاد «نيرون» للكريستياني في روما، واشارته إلى اتباعه. والكريستياني (اي المسيحي) المقصود هو القديس بطرس الذي اعدمه صلباً الامبراطور «نيرون» عام ٦٧م.

ولكن كيف كانت المسيحية تقدم نفسها قبل ان تصبح ديناً للدولة؟ إضافة إلى انتشارها لدى عشائر رعوية وزراعية في العالم العربي خاصة، فإن انتشارها في المدن كان بين الفقراء والعبيد وبعض الوسط. «لقد افلحت في تحريم الإجهاض ووأد الأطفال، وفرضت على النساء غطاء للرأس»، وهو غطاء يقع في صلب العيش العشائري والزراعي، حيث المرأة المنتجة زراعة ورعياً لا يمكنها العمل بدون غطاء راسٍ خاصة ان العادة في عشائرنا تاريخياً، ان من تفقد عزيزاً كوالدها او شقيقها، تخرج حاسرة الرأس حافية القدمين لأنها فقدت الحامي

والمدافع. وقد شددت رسائل القديس بولس على ذلك، مثال ما جاء في رسالته إلى اهل كورنتوس «ولكن اريد ان تعلموا ان رأس كل رجل هو المسيح. واما رأس المرأة فهو الرجل. ورأس المسيح هو الله. كل رجل يصلي او يتنبأ وله على رأسه شيء يشين رأسه. واما كل امرأة تصلي او تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه. إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها». كما ظهرت المرأة المسيحية وفية لا تنبس بكلمة في الأماكن العامة والمقدسة. يقول «ول ديورانت»: «ان الصورة العامة التي لدينا عن اخلاق المسيحيين في ذلك العهد تنطق بالتقوى والوفاء المتبادل والإخلاص بين الزوجين والسعادة والطمأنينة والثقة. وكان المسيحيون ينظرون بعين الريبة إلى الموسيقى والخبز الأبيض والخمور الأجنبية والحمامات الدافئة وحلق اللحية، ويرون في هذه الأعمال إستهانة بارادة الله الجلية الواضحة للعيان».

ومنذ القرن الثاني، تبلورت اهمية يوم الأحد وشكل الصلاة. وفيما عدا التعميد والعشاء الرباني ورسامة الكهنوت، كانت لسائر الشعائر اصولها في المجتمعات الدينية في ذلك الوقت. ومن خلال شعائر القبور التي كانت سراديب في البدء تظهر شعارات التدين الشعبي، كرسم اليمامة التي ترمز للروح، والتي ما زالت على صور السيدة مريم والأيقونات كرمز للروح القدس، وغصن النخلة كشعار للنصر، وغصن الزيتون او رسم السمكة لأن احرفها I. ch. th. u.s بدايات احرف عبارة (يسوع المسيح ابن الله المنقذ)، ورسم عطارد

حاملاً للماعز كفكرة للراعي الصالح، مع رسوم كروم وطيور وجد العديد منها في اثريات الجنوب اللبناني التي نبشت منذ سنوات وتطايرت في العالم، وفي رسوم اثار شفا عمرو الفلسطينية المحتلة، والرسوم الصفوية في حوران. واجمالاً كانت المسيحية ضد الرسوم والتماثيل قبل ان تصبح ديناً للدولة.

ويلخص «ول ديورانت» المسيحية المقدمة للبشر في الامبراطورية الواسعة، بقوله: «هذا الدين في ترجمته أعظم الأديان التي عرضت على بني الإنسان جاذبية. فهو يعرض نفسه دون ما قيد على جميع الأفراد والطبقات والأمم، عكس ما كانت عليه اليهودية وعبادات احرار روما وشعائرهم الرسمية». وعام ٣٠٠م كان ربع سكان الشرق وخمسة بالمائة من سكان الغرب في الأمبراطورية مسيحيون، لكنها مسيحية متكيفة في كل مجتمع، خاضعة لتعدد إجتهادات الفقهاء قبل ان يُعَمَّم الإجتهاد الرسمي.

تعدد الشيع المسيحية والإضطهاد الروماني

عندما يكون الدين عقيدة ايمان ورؤية للكون وفلسفته، وعندما يستغرق العيش اليومي للمؤمن، فإن الجدال في العقيدة مسألة طبيعية تظهر عدة إجتهادات، وهذه قاعدة تنطبق على كافة المؤمنين في كل الأديان. وإذا علمنا ان الجدل والفلسفة اليونانية لم ينتهيا خاصة في الشرق العربي، لتلمسنا ملامح هذا الصراع الفكري بين الايمان والعقل، الذي اثر في تنازع العقائد المسيحية، والذي كانت مراكزه

الاساسية في مصر وتونس وليبيا والاندلس وبلاد الشام حيث انطلاقة المسيحية، وحيث الثقل البشري الحضاري والإقتصادي. ففي مدينة حضرمنتم (اي حضرموت، المسماة سوسة اليوم في تونس) كانت نتاجات فكر ومعاهد لتخريج المحامين، ومدارس منفتحة للفقراء والأغنياء. اما ترشيش Tharsis في الاندلس، العائدة لالفي عام قبل الميلاد كمركز حضارة فينيقية، فكانت مركزاً للآداب والفنون (راجع: «الحضارة الفينيقية»، يولي تسيركين)، في حين ان قرطبة الفينيقية التي نشأت في ١٥٢ ق.م، كانت منطلق «لوكان» و«سنكا» الاكبر والأصغر. وإذا كانت الاسكندرية خليطاً من النوبيين والفينيقيين والعرب واليونانيين والفرس والأحباش، فإن «فيلو السكندري» حاول التوفيق بين اليهودية والفلسفة اليونانية، و«بطليموس» المصري السكندري الذي سماه العرب «المجسطي الأعظم» نسبة لكتابه الجغرافي، عقلن الرؤية للفلك، و«هيرون السكندري» وضع نظريات في الرياضيات والطبيعة والحيل والمرايا، و«مرنيس» فتح الجمجمة المقدسة – الجسد واطلق بعض خفاياها.

هذه العناوين العامة لمراكز الثقافة والعلم الأساسية، يجانبها فقهاء الديانات الاخرى التي ذكرناها، المتصارعون في المدن إنتصاراً لاديانهم، فيما العشائر الزراعية الرعوية تعيش رؤياها بعيداً عن هذا التأثير، تزاوج دياناتها الشعبية المتراكمة مع ما يفدها من ايمان. ورغم ان العقيدة المشتركة للمسيحيين عامة كانت تقر بعودة السيد المسيح إلى الأرض لاقامة مملكة الله، وان الآخرة نعيم للمؤمن، إلا ان السؤال كان متى يعود؟

اواخر القرن الثاني، سار قسيس سوري مع قطيعه إلى الصحراء لملاقاة المسيح، وآخر قال انه آت بعد عام، وبرنابا بعد الف عام، وثالث انه يأتي إذا ما انقرض اليهود، او أنه سيرسل بدلاً منه الروح القدس او المقرئ «متى» حسب رؤيا «يوحنا». إنقسم المسيحيون إلى عقائد كثيرة في القرون الثلاثة الأولى. وهو إنقسام طبيعي يتبع إنقسام اصولهم وثقافاتهم ونحلة معاشهم. فتيار «الأدرية» قال بطلب العلم الرباني بالتصوف، فيما «مرسيون» قال حوالي ١٤٠م، «اي إله يجب ان يكون غفوراً رحيماً لا يجب ان يعاقب حوّاء على اكل تفاحة»، و«منتانيوس» ندد بالتعلق بهذا العالم وبسلطان الأساقفة. ولما اضطهد الحاكم الروماني «انطونيوس» مسيحيي آسيا الصغرى، هرع مئات من اتباع «منتانيوس» إلى المحاكم سعياً إلى الشهادة ورغبة في الجنة، ولما أمر «يوستنيان» في القرن السادس وبعد ان باتت المسيحية دين الدولة الرسمي، بابادة شيعة «منتانيوس» «واعتقده مطانيوس»، اجتمع اتباعه واضرموا النار في الكنائس وهم فيها. إلى جانب هؤلاء كانت شيع الزهاد والمتخيلة التي ترى ان المسيح لم يكن من لحم ودم، بل كان شبحاً او خيالاً، والمتبنية التي تراه ابن الله بالتبني، والظاهرية والسابلية، اتباع «سابيليوس»، القائلة ان الأب والابن والروح القدس ليست اقانيم منفصلة بل هي صُور مختلفة يظهر فيها الله للإنسان. وفي القرن الثالث أعلن «ماني الطقشوني» انه المسيح المنتظر وان المرأة خير ما صنع الشيطان، ودعى إلى الصوم والتقشف انحيازاً لمملكة النور على الظلام، فصلبه المجوس عبدة النار في ايران. وفيما كان «سلس» ينشر

كتابات معادية للمسيحية ساخراً من الجنة والنار داعياً الامبراطورية إلى حماية نفسها من برابرة الأطراف محذراً من هذه الديانة المسالمة، كان اسقف انطاكية «اغناطيوس» يخرّج تلامذته، ويُعدم احدهم المسمى «غسطين السامري» الذي قتل وهو يقول: انني اموت طائعاً في حب الله، فيما «ترتليان» المتمذهب على «مونتان» بين ١٦٠ و ٢٢٠م يندد بجميع المسيحيين الذين يقبلون ان يكونوا جنوداً او فنانين او موظفين في الدولة، وبجميع الآباء الذين لا يحجّبون بناتهم وبجميع الأساقفة الذين يغفرون الخطايا، وقد أطلق لقب راعي الزناة على البابا. في ذلك الوقت كان «مار جريس» الخضر يصرع الحوت البحري الذي يسمى التنين في لغتنا ويزداد تنصر سكان بيروت، فيما مار جريس الشاب يقتل في مصر وقد رفض العودة من المسيحية إلى الوثنية.

وفي هذا التعدد الطبيعي، إستطاع «ايرينوس» عام ١٨٧م ان يحصي عشرون فرقة مسيحية، اصبحت ثمانون عام ٣٨٤م باحصاء «ايفانيوس»، موزعة في كنائس مستقلة وبأعياد مختلفة. ورغم هذا التعدد اخذت الكنيسة من الأديان الوثنية: ثياب الكهنة، وهي مأخوذة من ثياب الأم الأولى المعبودة، والبخور، والماء المقدس، وايقاد الشموع، والشعلة التي لا تنطفئ عند المعبد، وعبادة القديسين، والتماثيل، ولقب الحبر الأعظم، Pontifex Maximus والقربان والنذور ... وهذه مسألة طبيعية، لأن الأديان ليست اساليب إنتاج تطيح بالعادات والتقاليد والمفاهيم كافة.

واضافة للتناقض بين المسيحية والأديان الأخرى الوثنية وصراعاتها هنا وهناك التي تعكس صراعاً مادياً اجتماعياً، فإن السلطة الرومانية كانت تطلب من أصحاب الأديان الأخرى تمجيد رئيس الدولة والآلهة، إلا ان ذلك كان محل رفض المسيحيين عموماً، فالولاء للسيد المسيح وليس للامبراطور، في الوقت الذي قوي فيه مركز البابا في روما على رأس تراتب كنسي يشبه تراتب إدارة الدولة، لدرجة ان الامبراطور «ديسيوس» اقسم «انه يفضل ان يكون في روما امبراطور ثان ينافسه على ان يكون فيها البابا».

في الجانب السياسي، كانت الامبراطورية تعيش تدهوراً اقتصادياً وسياسياً، وتعيش تفككاً إدارياً وفساداً، وتبدلاً في الحكام يقوم على قتل الامبراطور وتنصيب آخر عبر رشوة العسكر. ومن الطبيعي في ظل هذا الخواء والإنهيار الرسمي والشعبي، ان تتحول النقمة وتساق بسهولة لإضطهاد المسيحيين من خلال فتوى اي كاهن وثني، طالما الحجة جاهزة في عدم تمجيد الاباطرة كآلهة. لذلك دبَّر الامبراطور «ديسيوس» مذابح للمسيحيين عام ٢٥٠م. و«انطونيوس» اباح اضطهادهم بشدة، و«دقلديانوس» دبر اعظم المجازر عبر احراق الكنائس وتدميرها، التي امتدت إلى مسيحيي اليمن. واوجز صورة عن هذا الإضطهاد، ان مخابرات السلطة كانت تضع علامة الصليب على بيوت وحوانيت المسيحيين، ثم تشن عليهم حملات الإعتقال الجماعي لتبدأ رحلة التعذيب ومنها: الوخز بالحراب، نزع الأظافر، الكي بالحديد المحمى، تمشيط الجسم باظافر حديدية، التقديد

بالأفران، الشي على النار. وعام ٣١٥م بدأت رحلة تحول الامبراطورية إلى المسيحية وفرضها كدين للدولة مع الامبراطور «قسطنطين» الذي ايقن ان الدين الميت لن يشفي روما من الهلاك، في الوقت التي كانت رسائل الرسل بطرس وبولس تدعو العبد إلى طاعة سيده، لأن طاعته من طاعة الله. وهل كان قسطنطين يطلب غير ذلك؟

هكذا تحول الغالب السياسي القوي بعد ان فقد أسطورة إجماعه إلى ديانة المغلوب المضطهد التي امّنت للدولة ايديولوجيا حيةً، خاصة ان الأناجيل كسيرة للسيد المسيح لا تفرض طقوساً صارمة محددة، مما سمح بامكانية التكيف الدائمة.

المسيحيون العرب

لتلمس اهمية المسيحيين العرب في إنتشار المسيحية عالمياً، ولكشف زيف بعض التقسيمات الشعوبية اللغوية، نعرض لمحطات ترتكز على بعض اللغة والتاريخ، ومنها:

١ - الكنيسة. وفي العبرية هي الكنيس. ولن تجد معنى لها إلا في القرشية القاموسية. اي المكان المكنوس النظيف. لكن روما عندما تحولت إلى المسيحية اطلقت على مكان العبادة إسم اغليزيا. وفي الفرنسية «اغليز أو لغليز». ولفظها لا يطابق الكنيسة، بل يطابق لفظة القليس، وهي لفظة يمنية توازي الكنيس معنى وإبدالاً، وفي اللهجات البدوية تلفظ الغليز. وقصر القليس احد قصور صنعاء القديمة.

٢ - الإنجيل. الاناجيل. المعروف انه ترجم من الحفظة إلى اليونانية وإلى اللغات الأخرى، ثم اعيدت ترجمته إلى القرشية الفصحى. وفي معنى الإنجيل قيل انها باللاتينية تعني: ابن البشارة (أونْ غاليوم) Evangelium وفي مشتقات اللاتينية افانجيل. ونعلم ان السيد المسيح كان يتكلم لهجة من اللهجات المتعددة التي نعرفها اليوم في بلاد الشام، والتي قيل انها آرامية نسبة لعشائر ارام. ومهما شطّت التفاسير في ابتداع لغة وحرف آرامي ليسا موجودين على الإطلاق، بل الموجود والملموس في بلاد الشام في تاريخ الميلاد، كانت الكتابة اليمنية كتلك الموجودة في الصفا في حوران، والسريانية ذات الحرف الخاص التي استمرت حية ولو في مساحات ضيقة. ولكن من اين جاءت كلمة الاناجيل ومعانيها؟ في القاموس العربي الجامع للهجات، نجد أن نجر ونشر وبشر تقدم المعنى نفسه. ونجد أن نشر الرياح؛ اي احياها بعد موتها. الم يقم المسيح من الموت بعد الصلب مسيحياً. وبالتالي فإن الأباشير والاناشير والاناجير تقدم المعنى نفسه. وكذلك عبارة ابن البشير، ابن النجير، ابن النشير. ولسهولة ابدال الراء إلى لام لهجة في بلاد الشام، مثال: فل وفرّ، منهمرٌ ومنهمل، فإن إبن البشير، ابن النجير باتت ابن النجيل المحولة انانجيل واونجيليوم.

٣ - في الادبيات السائدة، ان اول كنيسة كانت في الرها، في إمارة ازروني ايام «الإبجر الأسود» وأخوه «معنو» وهما من بني مذحج. ويورد انيس فريحة في كتابه «دراسات في التاريخ»، ان الإبجر الأسود راسل السيد المسيح على امل الشفاء من داء النقرس،

وان شفاءه كان وراء تنصره وتشييده اول كنيسة. ولسنا هنا لنحاكم صحة الرواية التي مهما غلبت عليها امنيات المؤمن لتشبه الأساطير، إلا ان للاسطورة دائماً عناصرها الواقعية. فالمهم ان الكنيسة قد شيدت عام ٣١ بعد الميلاد. اما فؤاد افرام البستاني، فيورد في «المنجد في الاعلام» ان «مذحج» قبيلة عربية قحطانية منها بنو الحارث، بجيلة، النخع، خولان، سعد العشيرة. اما «معجم المدن والقبائل اليمنية» لابراهيم احمد المقحفي، فيورد ان لعشائر مذحج ٢٤ بطناً، منها الرها والحارث والريان ومراد وعنس... ومن هنا فإن الرها إكتسبت إسمها من بطن من بطون عشائر مذحج الكهلانية اليمنية، وفيها كانت اول كنيسة. في حين ان بني الحارث البطن الآخر من مذحج كانت له مملكة الانباط التي كانت تمتد من جنوب فلسطين وشرق الاردن وسوريا الشرقية الجنوبية إلى شمالي الجزيرة العربية التي استمرت حتى ١٠٥م، ومن ملوكها عبادة والحارث. اما في تدمر فكانت مملكة «اذينة» و «زينب» حتى اواخر القرن الثالث.

٤ – ان القديس بولس اهم تلامذة السيد المسيح، وصاحب الرسائل الملحقة بالأناجيل التي نظمت حياة المسيحيين وطقوسهم منذ البداية، فإن اسمه إسم عشيرة يمنية، اذ يورد الهمداني في كتابه «الإكليل» الجزء الثاني، بطون آل سواده ويحصب وحضور وذي مقار من سبأ الأصغر ويقول ما يلي: «ان ذو فايش بن يزيد بن مرة بن عريب بن مرثد بن يريم بن ودد بن يوسف بن بولس بن يحصب بن دهمان، بن مالك بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن

سدد، دلال بن عامر بن الحصين بن يحصب بن ظرية بن يوسف بن بولس، ذو دادين بن يوسف بن بولس، ذو سفل بن يحصب ودومان وترحب وجهران وذمار والحصين بن يحصب»، وهنا يرد بولس في الانساب ضمن سلسلة قرابة، منها يريم ويحصب وذوسفل وترحب وجهران وذمار، وهذه البطون في سلسلة النسب هي اليوم اسماء مدن ومناطق يمنية غائرة في التاريخ، إضافة ان قرية بولس ما زالت قرب نجران كما يورد المؤرخ القاضي محمد بن علي الاكوع الحوالي. ورغم ان الكتابات الشائعة عن بولس انه اختلى ٣ سنوات شمالي جزيرة العرب ثم اهتدى وباشر التبشير، فإن احداً لم يشر إلى ان إسم بولس يرجع لعشيرة يمنية.

اوردنا هذه المحطات الأربعة للإشارة إلى دور العشائر اليمنية في انتشار المسيحية وفي مصدر لفظة الأناجيل. وهنا نود الإشارة إلى بعض المصطلحات التي اسقطت من التوراة على جغرافية بلاد الشام. فقيل الكنعان ولغة الكنعان مقابل البدو العبران. ولكن ليس من شعوب كنعانية ولا لغة كنعانية اطلاقاً. بل الكنعان دلالة على غير البدو الرحل. وقيل انباط واعراب. والأنباط لا تدل على شعب او لغة، بقدر ما تدل على أهل النبت غير الأعراب الرحل. يقول ابن منظور في لسان العرب: «إن أهل عُمان عربٌ استنبطوا، وأهل البحرين نبيط استعربوا». اي انتقل أهل الزرع إلى البداوة والعكس. وهذه المصطلحات شبيهة بمصطلحات بداوة وحضر، وريف ومدينة، وبدوي وفلاح... للدلالة على نحلة المعاش وليس على شعوب منفصلة. ونسأل سؤالاً يعرفه الجميع اليوم

والأمس: ألا نسمي مضارب العرب كل مجموعة من بيوت الشعر لعرب رحّلْ. الا ينتقل الرحل إلى الثبات، وأهل النبت والحضر إلى الترحال في حال القحط والدمار وانتفاء مصادر الماء؟ نعم. أيام الرومان كان بدو الصحراء والبوادي يسمون عرباً، والإقليم الشرقي في مصر كان يسمى الإقليم العربي. لكن العشائر التي انطلقت من اليمن وعمان والبحرين والشريط الساحلي الزراعي في الحجاز، وعشائر العراق وسوريا وفلسطين الزراعية الثابتة في قرى او مدن، ماذا كان يطلق عليها؟ لم يطلق عليها إسم العرب لأنها لم تكن متنقلة، بل نسبت إلى مدنها وقراها. لقد كان «منصور بن سرجون» والي دمشق أيام «هرقل» قبل الفتح الإسلامي بسنوات، وكان «إلياس» رئيس العسكر في الاسكندرية أيام الفتح، وبطرك الأقباط «بن يمين» في الوقت نفسه. وهل يعني ذلك أن هؤلاء من شعوب أخرى أم أنهم من عشائرنا يلهجون بلهجات ما زالت حيّة حتى اليوم؟ ما نريد قوله أن ارتباط تعميم عبارة العرب بالفتح الإسلامي وحتى الحاضر لا يعني ان العشائر الأخرى التي كانت تحت حكم الرومان في المناطق الثابتة لم تكن عشائر عربية الأصول. فالعربية الفصحى لم تكن لغة الجميع، لكنها سادت مع القرآن والدولة كلغة تعارف علمية ودينية وسط لهجات عديدة. ونضيف على ذلك ان الثقافة الشعبية الغائرة في التاريخ كانت ثقافة واحدة عند من أسلم وعند من كان نصرانياً أو وثنياً، وعشائرنا الثابتة والبادية كانت عصب دولة الرومان، العصب المؤثر وليس المتأثر، كما أن العديد من المنطلقات تحتاج إلى إعادة نظر، مثال: يذكر الرازي الذي توفي ٤٦٠/١٠٦٨م في كتابه

«تاريخ مدينة صنعاء» ما يلي: «قال ابو محمد، حدثني اسحاق بن ابراهيم «قال، حدثني غسان ابن ابي عبيدة البصري قال: «دخل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم صنعاء، وصلى في موضع الكنيسة فاتخذ النصارى الكنيسة بصنعاء على إثر مصلاه، وهذه الكنيسة في وقتنا هذا خربة. وهي أسفل زقاق المبيضين من صنعاء في الجانب العدني محاذية لبيعة اليهود التي هي اليوم باقية بصنعاء. وقد بقي من هذه الكنيسة حرف شبه اسطوان على حرف الطريق إلى سوق العطارين وإلى درب دمشق، وقد ادركت عقوداً كثيرة كانت باقية إلى سنة تسعين وثلثمائة».

هل السيد المسيح جاء صنعاء؟ لا أحد يشير إلى ذلك. ولكن الرازي نقل المتناقل في عصره، ومهما كان الخبر فاقداً للصحة، إلا انه يحتمل ان يحمل كامل الصدق، وإلا ما الغاية من ذكره. لقد ظل المسيحيون في جزيرة الفرسان مقابل الشاطىء اليمني حتى ق ١٤م. وقبل الإسلام بسنوات اقدم «ذو نؤاس» اليمني على ذبح المسيحيين في اليمن وحرقهم في الأخدود الذي ورد ذكره في القرآن الكريم «والسماء ذات البروج، واليوم الموعود، وشاهدٍ ومشهود، قتل اصحاب الأخدود، النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود». يضاف إلى ذلك السؤال عن أصول عشائر الموارنة المنسوبة إلى يوحنا مارون الناسك القرن الخامس م ويوحنا مارون السرومي عام ٧٠٧م والذي شدد البطرك الدويهي في القرن الثامن عشر أن أصولهم تعود إلى قرية اللكام التي كانت ذات يوم في انطاكية. كلا، إن أصول مارون الناسك ومارون السرومي في منطقة

صعدة شمال صنعاء غير بعيد عن نجران وكنيستها التي كان رمز الأفعى يزين مدخلها، حيث وادي سروم، وجبل مران وقرية اللكمة، وحيث مران الأكبر والأصغر والناسك بطون من عشائر خولان. هذه العشيرة الكبيرة التي ما زالت في اليمن ومن بطونها اليوم: شوكان الضيقة، البريرة، الرِّويشان، الصوفي، الشدياق، الجعارة، الجاهل، سعد، الشيباني، بكّي، علي بن طاهر، سالم، جبر، المنصوري، الروماني، غادر، دبَّاء ومنها ما لم يعد في اليمن مثال: بيت دحروج، حي، بحر، طرابيه، عذره، بهراء. فهل كان يطلق إسم العرب على عشائر مران الخولانية ام كانت تنسب إلى عشائرها ومناطقها؟

كلمة اخيرة في اللغة. كانت قصور عبادة «باخوس» إله الشمس منتشرة تاريخياً في أثينا واليمن ومصر وحمص وبعلبك. وفي بعلبك معبد الإله «باخوس»، الذي حرِّف لفظاً من «باكوس» إلى «باخوس» فيما عشائر «الخلدان» في العراق حولت إلى «كلدان». الذي نريد قوله، ان إنتشار اليونانية واللاتينية إضافة إلى اللهجات المحلية، والتمشي مع لغة الدولة، قد ادى إلى تحوير الكثير من الإسماء. فكاليغولا ليس إلا كركلا. وباخوس ليس إلا باكوس. وإذا ما حذفنا السين كلاحقة يونانية، فإن معبد بكي لإله الشمس يلتقي فعلاً مع تسمية بعل – بك، والتي تعني إله أو سيد عشائر بكي. وفي جنوب سهل البقاع وادي بكة. وبكي من عشائر خولان اليمنية، وبكة إسم مكة المكرمة ايضاً. ونخلص إلى ان عشائر بلاد الشام الحاضرة منها والبادية عشائر متبادلة التبدي والحضور، نسميها اليوم عشائر عربية بالإجمال.

إذاً، قبل الإسلام كانت المسيحية منتشرة في الجزيرة وبلاد الشام لدى البدو والحضر. فعشائر تغلب البدوية كانت مسيحية ومنها عمرو بن كلثوم الشاعر المعروف، وكانت قريبة من هنا في شمال سوريا، وكذلك الغساسنة والمناذرة. كما ان عشائر مسيحية ما زالت في السويداء والأردن، قبل أن يتحول معظمها إلى فلسطين ولبنان. وبالتالي ليست العروبة التي لا تحدد مضامينها بدقة، حكراً على المسلمين، فالمسيحيين العرب هم العشائر الأصل في بلاد الشام اكانوا بدواً عرباً ام حضرا.

رفض السيطرة الرومانية وانعكاسها اللاهوتي

عام ٣١٥، انتقلت الدولة الرومانية إلى ديانة اهالي بلاد الشام، ونظمت الكنيسة ضمن مراتب واسعة متدرجة. لكن إعتماد الدولة على عقيدة ما يولد نقائضها، وفي الدولة الإسلامية تولدت الإجتهادات منذ وفاة الرسول. وهكذا عقدت المجامع الكنسية لتحديد الفقه الرسمي الذي تصادم مع الفقه الشعبي المنتشر، اي مع قدامى المسيحيين او الأصل.

والترجمة الأولى للتحالف بين الدولة والكنائس، كان في حق الابرشيات فصل المنازعات بين المؤمنين، واعفاء أملاك الكنائس من الضرائب، وحقها في وراثة أملاك شهداء المسيحية الذين لم يخلفوا اولاداً، وتشييد الكنائس في روما وهدم دور عبادة الأوثان. ولكن حدثت معارضات فقهية منها: الدونائية نسبة لـ Donatus في افريقيا

(قرطاجة) عام ٣١٥، التي طالبت بإعادة تعميد المؤمنين. والآريوسية نسبة لآريوس الكاهن الاسكندري الذي انكر الوهية السيد المسيح بقوله إن المسيح والخالق ليسا إلهً واحداً. بل كان المسيح الكلمة، اول الكائنات التي خلقها الله واسماها. وإذا كان الإبن من نسل الأب، فلا بد أن تكون ولادته في زمن. وعلى هذا لا يمكن أن يكون الإبن متفقاً مع وجود الأب في الزمن.

وأهمية هذا الإجتهاد ان الامبراطور قسطنطين كان يعلن أنه: «اذا توحدت آراء الناس سهل عليَّ تصريف الشئون العامة». لذلك عقد قسطنطين مجلساً عاماً (اي مجمعاً مسكونياً) في نيقية عام ٣٢٥م، بحضور آريوس. وكان الموقف الرسمي: «نحن نؤمن بإله واحد وان المسيح ابن الله. وانه من أجل نجاتنا نزل وتجسد وصار انساناً وتعذب». إثر ذلك احرقت كتب آريوس واضطهد اتباعه، إلى أن تولى العرش قسطنطينوس الثاني الذي مال إلى آراء آريوس، وارسل وفوداً إلى عدن واليمن بين ٣٣٧ و ٣٦١، حيث حدثت إضطهادات ذو نؤاس على المسيحيين أغلب الظن، بعد أن إنقلب الإضطهاد إلى معارضي الآريوسية. وفي هذه الإضطهادات يقول ول ديورانت في المجلد الرابع من قصة الحضارة: «إن الذين قتلوا من المسيحيين بايدي المسيحيين في هذين العامين ٣٤٢ - ٣٤٣ يزيد عددهم على من قتلوا بسبب اضطهاد الوثنيين للمسيحيين في تاريخ روما كله. لقد اختلف المسيحيون في كل شيء إلا في نقطة واحدة: اغلاق الهياكل الوثنية ومصادرة أملاكها».

ومن بعد الآريوسية، إنتشرت النسطورية التي كان داعيتها سوري الأصل، الذي شغل كرسي بطريركية القسطنطينية. وقد رأى انه إذا اتحدت في شخصية السيد المسيح الطبيعتان الإلهية والبشرية، فلا يعني ان الصلب قد نال من الطبيعة الإلهية، بل اقتصر على الطبيعة البشرية. وهذا الرأي ينهي الاعتقاد بأن الله أرسل إبنه ليخلص البشر، ويؤدي إلى ان السيدة مريم أم المسيح الإنسان وليست ام الله. لذلك عقد مجمع افسوس عام ٤٣١م الذي انتهى بإتهام نسطورس بالهرطقة وبخلعه عن الكرسي ونفيه إلى شمال جزيرة العرب، في حين تجمع اتباعه في الرها ونصيبين وما يلي العراق. هذا الجدل الطبيعي كان يجتاح الامبراطورية حيث الشعوب مفعمة بالايمان التي بنيت عليه ركائز السلطة. لكن الانشقاق الاكبر حدث فيما بعد حين طرحت مسألة المونوفيزية، اي الطبيعة الإلهية الواحدة للسيد المسيح.

وتقول المونوفيزية التي بشر بها «اتويشيوس» اوائل ق ٥م وبطرك انطاكية ق ٦م «ان للمسيح طبيعة إلهية واحدة دون الطبيعة البشرية التي زالت من الوجود بفعل تجسد ابن الله على هيئة إنسان». وانتشرت في سوريا ومصر وقبلها في أرمينيا حيث أعطتها الكنيسة الغريغورية تفسيراً خاصاً. واثر ذلك عقد مجمع مسكوني في خلقدونيا عام ٤٥١م وادان هذا التوجه وأعلن عقيدة الكنيسة الدولة الرسمية أي الأرثوذكسية المبنية على اتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية في شخص المسيح إتحاداً غير قابل للإنفصام. وعلى أثر اضطهاد

أصحاب الطبيعة الواحدة، انفصلت كنائس السريان والأقباط والأرمن، وحدثت إضطهادات وتصفيات عنيفة بشعة، بحيث تنامى الحقد على الذي يحيد عن رأي جماعة في دين واحد، بأكثر من الحقد على أصحاب الأديان الأخرى، لدرجة اضطر معها الكاتب اللاتيني أميانُس مرقِلينُس إلى وصف الاضطهادات بالوحشية البهيمية. وهكذا باتت كنيسة الدولة تواجه كنائس متمردة في الفقه الذي يعكس حتماً نزعة الخلاص السياسية من السيطرة بأكثر من الصراع الفكري. فمعظم الذين عارضوا كانوا من عشائر عريقة في المنطقة كيعقوب البرادعي السرياني، ونسطورس وآريوس، مع ما للتركيب الاجتماعي العشائري من اثر في اتجاه الجماعات. فالغساسنة في سوريا كانوا على مذهب اليعقوبي، ومملكة اللخميين في العراق على المذهب النسطوري. والغالبية الأخرى من الروم الارثوذكس.

اردنا من هذه اللمحة ليس تبيان دقائق الاختلافات الفقهية التي تعكس صراعاً اجتماعياً سياسياً، بل للإشارة إلى ان هذه الإختلافات كانت تنعكس على مسيحيي الجزيرة العربية واليمن التي توجهت الآيات القرآنية إلى بعضهم كما سنرى. وقبل الفتح الإسلامي كان الواقع الإجتماعي كما يلي: يورد د. كمال الصليبي في كتابه «بيت في منازل كثيرة»:

«بحلول القرن السادس، كانت القبائل العربية في الشام التي يعرف بأن اصولها يمنية من شبه جزيرة العرب اكثر من أن تحصى.

وهي تضم مجموعات مثال: لخم، جذام، قضاعة في فلسطين وشرق الأردن، وغسان في ارياف دمشق، والاوزاع في بعلبك، وعاملة في الجنوب، وبنو تيم الله في البقاع. ولعل عدداً من هذه القبائل كان على هذا المذهب او ذاك من الدين المسيحي قبل وصوله إلى الشام. ومن المعروف ان للمسيحية انتشار واسع في الجزيرة قبل الإسلام، ولها مذاهب متعددة، مما جعل المؤرخين الكنسيين في الدولة الرومانية – البيزنطية يسمون الجزيرة العربية Arabia-Heretica اي المتعددة البدع».

المسيحية والمسيح في القرآن

الإسلام دعوة توحيد. توحيد للعصائب القبلية ونقل انتمائها إلى عصبية الدين الجامع. والقرآن هو المجمع الذي تناولت آياته تثبيت من سلف من انبياء، ففي سورة آل عمران: «قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون». وكذلك في سور: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، التوبة، الحج، يونس، العنكبوت، لقمان، الشورى، الحديد، الزخرف، مريم، البروج. وفي هذه السور مئات الآيات التي تدعو المسلم إلى الاحترام والإيمان بسيدنا عيسى بن مريم، وبالسيدة مريم وبالأنبياء الذين سبقوا. بل وتتعاطى السور في مسائل الخلافات المذهبية بين الفرق المسيحية حول ألوهية السيد المسيح. الم تكن

الجزيرة العربية تسمى «المتعددة البدع»؟ بل لعل السورة: «قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً احداً» جاءت كرد على القائلين بأن المسيح ابن الله. لكن المحصلة الإجمالية، ولعدم القدرة على تحديد من هم النصارى الوارد ذكرهم في القرآن وأية فرقة واتجاه فقهي يتبعون، ولغياب غالبية القرائن التاريخية الإجتماعية عن اسباب نزول الآيات في حينه، إلا ان جانب المودة كان الغالب على السّوَر القرآنية حيث: «ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى. ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون». ورغم اننا ايضاً ازاء مئات السور الإيجابية عن المسيحية فإننا لا نعلم مرجعية وأسباب نزول الآية التي ينسلها بعض العصبة من المسلمين لإستعداء المسيحيين، وهي الآية ١١٩ من سورة البقرة وفيها: «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم». وبالنتيجة ثمة عشرات الآيات التي تدعو إلى الجدال الحسن: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي احسن. إلا الذين ظلّموا منهم. وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون»، سورة العنكبوت، الآية ١١٦.

النقطة الثانية في هذا السياق. ان الإسلام كان منحازاً للمسيحيين من الروم، مقابل غزو الفرس الذين كانوا من عبدة النار والذين اجتاحوا بلاد الشام عام ٦١٦م. وقد ورد في سورة الروم: «غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذٍ يفرح المؤمنون». لقد كانت

غزوة الأحباش إلى اليمن ووصولهم قرب مكة، وغزوة الفرس شمالاً، والدمار الذي لحق بالإنتاج وبطرق التجارة عوامل ساهمت في ايقاظ الشعور القومي العربي الذي ترجمته الآيات في حينه، وكانت منحازة إلى أهل الكتاب مقابل عبدة النار.

النقطة الثالثة. إن الانجيل في صيغته الحاضرة ترجمة لسيرة السيد المسيح كتبها تلامذته. وبين الانجيل والقرآن ثمة توافق في مضمون العديد من الآيات. مثال: الآية ٤ و ٦ من سورة الماعون والآية ١٤٢ من سورة النساء المتوافقة مع مضمون الإصحاح السادس الآية الخامسة من انجيل متّى. وكذلك سورة البلد، الآية ١٠ – ١١ المتوافقة مع الآية ١٣ من الاصحاح السابع. اضافة إلى ثمانية قضايا ومضامين أخرى، ذكرها «فلهلم رودولف» في كتابه: «صلة الاسلام باليهودية والمسيحية». ومن نماذجها ما جاء في سورة النمل: «الم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله»، الآية ٧٩، المتوافقة مع ما جاء في الآية ٢٩ من الإصحاح العاشر من إنجيل متى: «اليس عصفوران يباعان بفلس. وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون ابيكم».

النقطة الرابعة. ساد الإسلام في الجزيرة العربية وخرج إلى ضواحي العرب والخارج، وفي تلك الفتوح التي كانت واجبة على المسلم، اعتبر أهل الكتاب من مسيحيين ويهوداً أهل ذمة فرضت عليهم الجزية. وبين تطبيق الجزية في مراحل الدول ومفهوم الذمة

الذي أعطاه البعض بعداً سلبياً مسافة للفهم، علماً ان تفسيرات معظم الفقهاء للقرآن، وغالب من ارَّخ للإسلام قد فسَّر وارَّخ وكأنما المجتمعات كانت معلقة في الفضاء. ان التفسير والتأريخ الذي لا ينطلق من البنية الاجتماعية العشائرية التي جاء الاسلام فيها يجانب الصواب. وهذا عين ما حدث في موضوع الجزية وأهل الذمة. على المسلم القتال مع عشيرة المسلمين، وله الغرم والغنم، وعلى غير المسلم من أهل الكتاب أي من غير عشيرة المسلمين المجار المدافع عنه، الذي لا يشارك في القتال ان يدفع بدلاً مالياً. الفقهاء غالباً استندوا إلى الآية ٢٩ من سورة التوبة: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون». وعبارة من الذين اوتوا الكتاب تعني لغوياً بعضهم، إضافةً ان الايمان بالله وبالحساب في الآخرة كان من صميم المسيحية، ولكن الذي حدث ان الجزية شملت الجميع من أهل الكتاب لدى توسع الدولة. وفي ذلك يقول د. رضوان السيد: «ان المنظومات الفقهية الإسلامية بدأت تتشكل وتكتمل حوالى منتصف القرن الثاني الهجري. وهي حقبة متأخرة نسبياً، إذا علمنا ان الفتوحات الإسلامية كانت قد تمت في اكثرها في النصف الاول من القرن الهجري الأول، ما عدا فتح الاندلس طبعاً. ومعنى هذا ان الفقهاء وجدوا امامهم سلوكاً تاريخياً للسلطة والجماعة الإسلامية. وكان تأثير الفقهاء ضعيفاً ومحدوداً في البداية». اما سبب ارساء هذه السياسة في إجبار أهل الذمة على

الجزية، فيعود إلى المناخ السياسي العشائري ومفاهيمه. ومحتوى ذلك مثلاً، انه في المفهوم العشائري يجب الجلاء على من قاتل وانهزم. وهكذا كان حال يهود يثرب، فيما الذي صالح دفع النصف وهو الفيء. لذلك تحددت أموال الدولة الممثلة لعصبية المسلمين فوق العصائب العشائرية التي لم تلغ ولا يمكن الغاؤها، إلا بابدال نحلة المعاش في ثلاث: الفيء والخمس والصدقة. وكان مال الفيء هو ما اجتبي من أموال أهل الذمة مما صالحوا عليه من جزية رؤوسهم التي بها حقنت دماؤهم، وحرمت أموالهم، ومن خراج الأراضي التي افتتحت عنوة. وبالتالي فإن مفهوم الدولة لأهل الكتاب جاء تحقيقه استناداً إلى المفاهيم العشائرية البدوية الاجتماعية. وهنا لا بد من تحديد بعضها. اولاً: عصبية الدم والقرابة، اي الإنتماء إلى جماعة عبر الخط الأبوي، والتحاق الكنية باسم العشيرة او الفخذ، لأنه في حال القتال مع العشائر الأخرى تسقط المصاهرات إلا في حال التحالف. أما في وضعية قتال عشيرة الاخوال مع عشيرة ثالثة لا تربطها اواصر تحالف مع عشيرة الفرد، فإنه يحق له القتال لنصرة اخواله. ثانياً: الحرب الأهلية الدائمة والتمنطق بالسلاح في بوادٍ وواحات يضغط على سكانها الجوع بدون ميعاد، وفي ظل تناقص بين البداوة والحضر حيث الإحتقار للأعمال الزراعية والحرفية. ثالثاً: المطرود من عشيرته يصبح فريسة سهلة لا سند له من احد، إلا إذا ارتضت عشيرة ما ان تجيره لقاء شروط. رابعاً: تراتب في العشيرة بين المشايخ والاسياد وبين العامة والعبيد والمجارين. خامساً: احترام التحالف والصلح ولجنة

القضاء في مسائل الثأر. سادساً: الجلاء على من قاتل وانهزم مصحوباً بحمل دابته، فيما مرباع الغارة او خمسها لشيخها. لذلك كانت الفتوحات في المفهوم الإجتماعي غارات على جماعات اخرى، يتبعها فرض الإسلام، او مصالحة لقاء عقد يحدد فيه حرية سلوك وصون وحقن دماء المتصالح، وضياعه وأماكن عبادته. وثمة كثير من نصوص المصالحات بين قواد المسلمين ووجهاء المسيحيين. ولكن في العشيرة يتوزع الغنم والغرم. فالذي لا يقاتل ويدافع يقصى عن الديار. وإذا ما لجأ آخر من عشيرة إلى عشيرة يجار مع كفالة من ابناء العشيرة، إلى ان يعتبر من الجماعة، له ما لها وعليه ما عليها. ومن هنا فإن مفهوم أهل الذمة، هو مفهومه اللغوي: الذمام أي العقد. وأهل الذمة أي أهل العقد. والذمة: الأمان، وأذمه: اجاره. ومعنى ذلك أن عشيرة المسلمين لم تفرض الجلاء على المسيحيين، ولم تفرض عليهم الإسلام، بل اعتبرتهم أهل عقد واجارة وأمان. ولكن بما أن القتال هو مع الروم البيزنطيين، وهم من أهل الكتاب، فإن المسيحيين لم يسمح لهم بالقتال مع عشيرة المسلمين، واعتبروا قعداً عن الجهاد، وبالتالي فرض عليهم ان يدفعوا بدلاً.

هذا من حيث الخلفية للمفهوم. اما في التطبيق خلال مراحل الدولة، فإن الجزية كبدل عن القتال كانت تخضع لمستويات في التحصيل والممارسة. هذا مع العلم، ان معظم أهل الشام ومصر كانوا من المسيحيين حتى فترة متأخرة من الدولة العباسية. وقياساً إلى إضطهاد الدولة البيزنطية لليعاقبة والنساطرة والأقباط، من إقصاء عن

الوظائف العامة، ومصادرة الأملاك واغلاق الأديرة والكنائس والرهبانيات، فإن الدولة الإسلامية في معظم مراحلها لم تصل إلى هذا المستوى غالباً. وانها لشهيرة عبارة بطريرك السريان الارثوذكس مخائيل السرياني في القرن الثاني عشر الذي قال:

«لأن الله هو المنتقم الأعظم، الذي وحده على كل شيء قدير، والذي وحده انما يبدل ملك البشر كما يشاء.. ولأن الله قد رأى ما كان يقترفه الروم من أعمال الشر، من نهب كنائسنا وديورنا، وتعذيبنا بدون أية رحمة، فانما قد أتى من مناطق الجنوب ببني اسماعيل لتحريرنا..».

وقد بقي المسيحيون العرب

الكثير من المؤرخين في الغرب، ومعظم مؤرخي العرب المحدثين، يتلاقون بين الإستغراب والتعجب والتباهي، في ان الدولة الإسلامية قد ابقت على ديانات أهل الكتاب ولم تجبرهم على الإسلام، عكس ما يحدث عادة عند سيطرة دين سماوي عبر دولة تحاول «تحقيق الوحدة التشريعية الإجتماعية – الثقافية». والواقع انه ليس من ضرورة للتعجب والتباهي لأن كنه الإسلام كدين ان يكون جامعاً للعرب موحداً بالنسبة للخالق وللجماعات، وإلا لما انتشر. لقد بقي المسيحيون العرب، وليست صحيحة ابداً اطروحات العديد من مؤدلجي التاريخ اللبناني من ان لبنان كان ملجأ المضطهدين دينياً من اقليات المحيط العربي. فلو أن الموارنة، او بعضهم، جاء شمال لبنان في

القرن السابع والتاسع إثر اضطهاد ديني، لما بقي مسيحي في سوريا، ولا ماروني في حلب. فما هو موجود من طوائف في لبنان، تجده في فلسطين وسوريا وغيرها. وفي هذا السياق نتوقف عند نقطتين:

١ - المواطنية في الدولة الإسلامية.

٢ - الإنتماء إلى العروبة.

في الأولى كانت المواطنية ذات بعدين: الأول للعشيرة - العصبية والثاني للخليفة، حيث الانتماء الأول مسألة حاسمة في إنتاج زراعي كفافي قوتي تعود ملكية الأرض فيه إلى الخليفة وليس إلى الافراد، وحيث السوق الرأسمالي بعيد عن النضوج. فالتجارة البعيدة المدى ونهب الرعية من الولاة وحسب مستوى الرقابة، كانت مصادر الإثراء. وحتى الدولة بمفهومنا الحالي أبعد ما تكون عن مفهوم وحقيقة الدولة اموياً وعباسياً مثلاً، وما تلاها. فإذا ما حدث انقلاب أو رد غزو، فإن سواعد القبائل هي الأساس. لذلك كان المسلم يدافع عن عشيرته اولاً، وبقدر وعيه بما يحيط به عن معتقده ومن يهدد وجوده. وبالتالي لم يكن الإنتماء إلى وطن دولة بل إلى عشيرة ودين. فيما غير المسلم كان انتماؤه إلى عشيرته ودينه ايضاً.

النقطة الثانية هي ان الإنتماء إلى العرب كبداوة كان ميزة في منطلق الإسلام، لذلك تعامل عمر بن الخطاب مع عرب تغلب النصارى، بطريقة مختلفة عن التعامل مع نصارى الشام من الحضر مثلاً. لكن السؤال إذا كان الإنتماء الديني هو المجمع والمضم للعربي

ولغيره، والشرعية السياسية للخليفة وللوالي انه متفان في تطبيق الشريعة، فكيف كانت النظرة إلى المسيحي في حال الصدام مع الروم او الحملات الصليبية؟ أبكونه عربي، ام منتم إلى الدولة العباسية أو الطولونية أو الإخشيدية، ام انه ذمي مسيحي يحتسب عند اشتداد العصائب متحالفاً مع الروم والصليبيين؟

بناء على هاتين النقطتين، وحسب مستوى مزاج الخليفة وصلاحه وتنوره وأصوله وحسب عمّاله ورقابة العلماء، وبناء على امكانية انفلات مشاعر التعصب الديني الجماعي من العقال في فترات القلاقل والاضطرابات أو أيام الضائقة الإجتماعية، فإن مستوى تعامل السلطات والعامة مع المسيحيين لم يكن يسير باتجاه واحد إيجابي في المدن غالباً. بينما الأرياف كانت في عزلة ينطبق عليها قول معاوية (أهل الكفور في القبور)، أي بعيدون عن مجريات الأمور، يخضعون فيما بينهم لعلاقات انتاجية متساندة وقوانين عشائرية صادقة، وفاقة معممة بعيداً عن استغلال المزارع للآخر وبعيداً عن الدولة والعراك على وظائفها كمصدر للتراكم المالي.

وإذا كانت الصيغة العامة لواجبات أهل الذمة قد تحددت في قيود اوردها الفقهاء بعد سيادتها، فإن هذه القيود كانت كما يلي في «الاحكام السلطانية» للماوردي:

١ - عدم ذكر الإسلام بذم، او الطعن بالقرآن والرسول. والا

يصيبوا مسلمة بزنى او نكاح، او يفتنوا مسلماً عن دينه، او يتعرضوا لماله ودمه، والا يعينوا أهل الحرب.

٢ - اما الشروط المستحبة فهي: لبس الغيار (اللون المخالف للبس المسلمين)، والا تعلو أصوات النواقيس وتلاوة الكتب والأبنية فوق أبنية المسلمين، والا يجاهروا بشرب الخمر واظهار الصلبان وإقتناء الخنازير. وان يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهروا بندب عليهم ولا نياحة.

هذه الشروط «المستحبة» كانت تغيب لفترات ثم تستفيق خاصة في الحواضر المصرية، فيما كانت غائبة في معظم بلاد الشام بداوة وارياقاً. ولذلك تحول الكثير من أقباط مصر إلى الإسلام في الحواضر، فيما ظل المسيحيون بكثافتهم في معظم الأرياف المصرية. ومن الامثلة في مصر: عند الفتح الإسلامي، كان بطريرك الأقباط بن يامين مختبئاً من البيزنطيين، إلى أن استدعاه عمرو بن العاص ومنحه بعض الحرية في اعادة تنظيم شؤون الطائفة، وإعادة بناء بعض الكنائس، ولكن مع دفع جزية قيمتها دينارين عن كل فردٍ بسن الجندية. وإذا كانت التجارة الداخلية معفاة من الضرائب، فإن التجارة الخارجية كانت تفرض رسوماً مقدارها ٢,٥٪ على تجارة المسلم وضعفها على غير المسلم، علماً ان للنبي احاديث توصي بالاقباط خيراً لأن منهم أخوال العرب. وإذا كان «عمر بن عبد العزيز» قد اعفى الأساقفة والكنائس من الخراج، فإن «يزيد بن عبد الملك» شن

حملة ضد الإيقونات المسيحية عام ١٠٥هـ - ٧٢٣م. وفي عصر «المأمون» العباسي تمردت العامة في مصر احتجاجاً على السياسة الضريبية عام ٢١٧هـ - ٨٢٣م، ولم تتوقف التمردات حتى قدم «المأمون» وقائده «الإفشين» إلى مصر ومارسا القتل والسبي واسترقاق الأطفال، حيث نال الاقباط قسطاً من القمع حوَّل قسماً منهم إلى الإسلام، في حين ظلوا يشغلون الدواوين حتى الدولة الأيوبية. وفي أيام الطولونيين في مصر ٨٦٨ - ٩٠٥م، اضطر بطريرك الأقباط إلى بيع عدد من الكنائس إلى اليهود لتسديد متطلبات السلاطين، حيث أعيد فرض الجزية على الرهبان عام ٩٢٤م. وفي الدولة الإخشيدية بين ٩٣٥ - ٩٦٩م، هاجم المسلمون بعض الكنائس في المدن بحجة هجمات البيزنطيين على شمال سوريا. وإذا كان الأقباط في الدولة الفاطمية قد شهدوا عصراً ذهبياً وحازوا على مناصب واسعة في الإدارة، فإن «الحاكم بأمر الله» الفاطمي اعاد فرض التمييز في اللباس، وصادر الأموال وهدم كنائس، وخيَّر الأقباط بين الإسلام والهجرة. وباستثناء هذه الحالة، كانت شكوى العامة من عسف الموظفين الذين يعملون في الجباية، والذين كانوا بغالبية قبطية. إذ بافتقاد الوعي أن العسف عسف النظام عامة، يرتد الحقد على الجابي. ومن مظاهر إعتبار الأقباط فاقدين للمواطنية، انه اذا ما أشيع أن الحبشة ستحتجز مياه النيل (وهذه الإشاعات تتكرر حاضراً)، يطلب الخليفة «المستنصر» من البطرك أن يكون مسؤولاً لدى الحبشة لإعادة إطلاق النهر. وعام ٩٦٩م اتهم الروم باحتجاز مراكب تجارية مصرية في البحر، كان

صداها مهاجمة الكنائس في الحواضر. لكن الخليفة «الحافظ» عام ١٠٢٧م، سمح لمن اعتنق الإسلام كرهاً بالعودة إلى ديانته الأصلية، في حين أن «صلاح الدين الايوبي» الغى عندما كان وزيراً «للمعتضد» الفاطمي حوالى ٨٨ نوعاً من الضرائب. وخلال الدولة الأيوبية التي استمرت حتى عام ١٢٥٠م، كانت أمور المسيحيين في مصر تسير بشكل طبيعي، إلى ان جاء المماليك بالانقلاب العسكري وبمباركة الأئمة الأربعة، وبحرص على الظهور بمظهر الملتزم والحافظ للشريعة، والذين لم يعدموا حيازة الفتاوى في مصادرة أموال التجار عند الضرورة وفرض الضرائب الإضافية. وإذا كان أقباط مصر لم يقيموا علاقة مع الصليبيين (كما أنهم ممنوعون شرعاً اليوم من زيارة القدس تحت الإحتلال)، فإن حملات الصليبيين على الاسكندرية ودمياط أعوام ١٢١٩ و ١٣٩٦، قد انعكست بضرر على مسيحيي مصر وكأنهم المسئولون عن الحملات الصليبية!

واخيراً، جاءت الدولة العثمانية التي استمرت حتى عام ١٩٢٠، والتي كانت تطرح نفسها كامتداد للخلافة الإسلامية. في هذه الدولة التي لم تبدل شعرة في الأنظمة الاسلامية السابقة، كانت المراوحة سمتها العامة حتى منتصف القرن الماضي. فنظام الملل يسمح لرئيس كل طائفة غير إسلامية أن يتولى شؤون رعاياه، فيما كان شعار محاربة الكفار هو اليافطة الكبرى للاتراك وهم يتابعون الغزو باتجاه اوروبا حتى اسوار فيينا. وإذا كانت العلاقة سالبة بين الدولة ممثلة

برموزها الجابية غالباً، وبين الرعايا عامة خاصة خارج المدن، فإن العسف العام الذي كان يطبع العلاقة بين السلطة والمنتجين، كان مضاعفاً على المسلمين بأكثر من المسيحيين. فصكُّ العملة والتجارة الخارجية كانت بأيدي اليونانيين والأرواام والأرمن مع بعض المناصب الإدارية، كما ان الكثير من القهر السابق للمسيحيين قد غاب تركياً على الأقل حتى منتصف القرن الماضي، حين بدأت الحروب الأهلية المغذاة من الغرب، ومنها الحرب الأهلية اللبنانية التي كانت تديرها فرنسا لصالح رغبتها في تعيين أمير المؤمنين المهزوم منها في الجزائر (اعني الأمير عبد القادر الجزائري)، اميراً على سوريا، والحرب الأهلية الأرمنية التركية التي تحولت إلى حرب شبه ابادة تركية تحت رعاية اقتسام المصالح والمنابع النفطية في الحرب الأولى وبعدها، من قبل دول اوروبا.

في هذا الإطار العام من سيادة مفهوم المواطنية، كانت تركيا تدق أبواب اوروبا. وكانت بالمقابل الدولة المسيحية الأوروبية ممثلة برأس الكنيسة أي البابا تقيم علاقة مع عشيرة الموارنة الطائفة منذ ١١٨٠، التي توجها البابا ليون العاشر عام ١٥١٠ برسالة إلى الموارنة (المزروعون بين أهل الكفر والإنشقاق والبدع)، واستمرت هذه العلاقة مع البابوية حتى اليوم مع زخم تقدم وتوسع السوق الرأسمالي الغربي، فيما الأكثرية المسيحية الارثوذكسية في بلاد الشام شهدت ايضاً وبتأثير الإرساليات الغربية إنشقاقاً أدى عام ١٦٨٣ إلى «تعيين كاهن ملكي عربي من حلب هو «ايوثيموس الصيفي» مطراناً على أبرشية

صور التابعة لانطاكية، والذي بادر إلى إعلان اعترافه بسيادة بابا روما». وهكذا بدأت رحلة الروم الكاثوليك المنشقين عن الارثوذكس في العلاقة مع البابوية، رغم أن دعوات العروبة قد انطلقت من الروم عامة منذ منتصف القرن الماضي. اما البروتستانتية التي انطلقت في القرن السادس عشر اوروبياً، واورثت مذابح اثناء إنشقاقها عن الكنيسة البابوية بلغت عشرات الملايين من الضحايا، فإن تسربها إلى لبنان كان عبر الإرساليات البريطانية والأميركية ومدارسها وأطبائها.

وبالنهاية، إن المسيحيين العرب من عشائرنا وأهلنا وأصولنا، عانوا ما عانينا، لهم في العروبة ما لنا، وقد باتت مفاهيم الدولة والمواطنية ترتكز على توفير الفرص وعدالتها، في عصر تتجمع فيه الأمم الصناعية وتتوزع المحاور، وتحترم بمدى إنتاجها وابداعها. يقابل ذلك ان الدول العربية المعتبرة من دول العالم الثالث، صُنعت كياناتها من الخارج عندما اقتسمت اوروبا الصناعية ولايات الدولة العثمانية، فانتقلت من سلطة الخليفة العثماني وولاته إلى سلطة الخلفاء الجدد، حيث الملوك يورثون الأبناء بوجود مؤسسات سياسية واشكال من الديمقراطية الفارغة المضمون، وحيث رؤساء الجمهوريات في الغالب ملوك تتجدد إقامتهم في السلطة إلى جانب مؤسسات خاوية، تعكس تفككاً إقتصادياً وتخلعاً في قطاعات الإنتاج وغياباً للإندماج المجتمعي الذي يصنع المواطنية. ويزداد هذا التفكك والتخلع الإقتصادي مع الإنخراط العشوائي في نظام السوق الرأسمالي العالمي، وغلبة الوارد انتاجاً وثقافة، وانتاجه النهب (الداخلي والخارجي) والإفقار والتبعية

التي تعلن تنمية التخلف بامتياز. وإزاء هذه التبعية يمكن استيراد كل النتاجات العالمية الصناعية، لكنه لا يمكن إستيراد العقلانية الصناعية، وبالتالي فمع ازدياد الإفقار وعسف سلطات الخليفة، يغيب الإنتماء إلى الوطن لصالح الإنتماء للعشائر الطوائف وللعصبيات الثانوية التي تحتدم تناقضاتها بغياب الوجه الاساسي للتناقض بين من ينتج ومن لا ينتج. وعلى هذه القاعدة تتسع الإنتماءات المعممة حسب العشيرة التاريخية والطائفية والمذهب (مسلم – قبطي بدل مصري – درزي – سني – شيعي – ماروني – كاثوليكي بدل لبناني) وهكذا.

وخلال هذا القرن، وبنتيجة الإخفاق في بناء الأوطان والمواطنية، ولأن هذه الدول لم تنشأ نتيجة تطور محلي، اشتدت العصبيات والأصوليات، وتقلص الوجود التاريخي الأصلي للمسيحيين، فتناقص السريان والنساطرة في العراق مثلاً، وتجمع الكثير من مسيحيي الشرق العربي، وهم العرب الأصل في البلاد، في لبنان ابان فسحة الحريات، وتعاظمت هجرات المسيحيين إلى الغرب، وخاصة الهجرة من الاراضي الفلسطينية المحتلة. وبقدر ما لعب الإخفاق في بناء الأوطان دوراً في تقليص وجود المسيحيين في المشرق العربي، بقدر ما لعبت بعض الإرساليات دورها في شد الإنتماء الطوائفي. وها نحن اليوم وبعد ان انهزمت الأساطير – الايديولوجيا في الصراع مع الغرب صانع الصهيونية، وفشلها في السلطة، افتقدنا للأحزاب التي كانت تحمل هذه الاساطير

الإيديولوجيا، والتي كانت تجمع المواطنين على إختلاف موروثاتهم الإيمانية، والتي كانت تحمل بين محازبيها اجماعاً على التاريخ والمستقبل، مهما كان هذا الإجماع حاملاً لبذور الحقائق. فغابت اسطورة الوحدة لصالح العصبية العشائرية في الدولة، واسطورة الحريات والديمقراطية امام تعميم القهر، واسطورة القوميات على تعددها (العربية - السورية - اللبنانية)، لتخلو الساحة لصالح اصوليات دينية تفتقد البعد المستقبلي وتتعيش على عصبية الأمس البعيد، وتخضع الحاضر قسراً لمفاهيم منتزعة من سياقها الإجتماعي التاريخي.

اننا مقبلون على مرحلة من التفتت، ترفع شأن العصبيات وتعيد رسم كيانات للمنطقة تحمل بذور تناقضاتها في دواخلها. ان مشكلة الأقلية حينما تشعر بأنها اقلية وما ينتج عن ذلك، ليست إلا دلالة على خلل في النظام الذي تدعمه الاكثرية. فالأوطان لا تعطى من التاريخ ومن هبات الدول القوية المسيطرة، بل تصنع من ابناءها كفعل تاريخي، وان وَعْيَنَا وفهمَنَا للمسيحية وللوجود المسيحي فهمٌ لانفسنا ولتاريخنا. هم الأصل في مصر، والعشائر المسيحية العربية هي الأصل في بلاد المشرق العربي، والمستقبل لا يصنع بالإستناد إلى الأوهام التاريخية واسقاطات الغرائز، والمجتمعات العادلة التي نطمح لها، مجتمعات لا مِنَّة فيها لأحد على آخر بحسب ما ورث من إيمان.

الفصل الثاني
أصول الموارنة من عشائر خولان صعدة

السؤال الذي نحاول الإجابة عليه هو: هل عشائر الموارنة في بلاد الشام، المنسوبون بعضهم إلى مار مارون الناسك، ومار مارون السرومي، هم من اصل يمني ومن عشائر خولان صعدة شمال صنعاء؟

اولاً: نعلم مدى حدة الصراع الأيديولوجي التاريخي الذي نشأ منذ ارساء الكيان اللبناني، بين دعاة الانتماء إلى الفينيقية ووراثتها كحضارة لا علاقة لها بالمحيط العربي، وبين دعاة العروبة ونفي الفينيقية. وقد استمر هذا الصراع حتى اليوم في ما يُسمى التمايز والتعدد الحضاري والثقافي. والواقع ان ما انجزته من أبحاث أظهر أن النص الفينيقي المحفور على قبر الملك أحرم في جبيل، هو نص عربي كتب بلغة عربية وبحرف فينيقي. فإذا وضعت مقابل الأحرف الفينيقية في النص ما يقابلها من أحرف عربية لقرأت لغة

عربية (راجع كتابنا: «اليمن هي الأصل». وان كلمة فينيقي التي يحار من أرَّخ في معناها، تجدها في القاموس العربي في جذر فنق: نَعِمَ تَرَفَّهَ. كما تجدها في الشعر الجاهلي، وبقيتها في اللهجة المحلية في عبارة تفلّك المبدلة لهجة عن تفنّق. وان ما أسماه اليونان الصباغ الأرجواني «الموريكس»، ليس سوى المُريق، اي صِباغ حب العصْفُر. (مرّق الثوب أي صبغه بالمريق). كما ان جملة الأسماء الفينيقية المعروفة تجدها ذات جذر في القاموس العربي، بما فيها حانون (زهر الحناء) الذي قاد سفنه حول رأس الرجاء الصالح إلى شواطئ ليبيا وتونس، إنطلاقاً من البحر الأحمر، كما ذكر هيرودوتس اليوناني عن هذه الرحلة (راجع «تاريخ هيرودوتس»، ترجمة حبيب افندي بسترس). كما ان إسم مدينة صُور التي كان إسمها تير المعتبرة كنموذج فينيقي، ليس إلا اسم عشيرة كبيرة توزعت في بلاد الشام، نجدها في لبنان في: صُور، وصُورات، وصُوراته. وفي فلسطين: في صُور باهر، وكفرصُور، وخربة صُور. وفي سوريا: في الصُورة الكبيرة، صور اللجاة، الصُور، صُوران، صورية. وفي عُمان: مدينة صور على عتبة مدخل الخليج العربي، وفي صور اليمنية في منطقة شهارة. كما ان ثمانية من الأحرف الفينيقية تتطابق بالكامل مع الأحرف اليمنية المسماة حميرية، والتي تركت أثارها في عدة مئات من النقوش اليمنية، يطلق عليها إسم، كتابة المُسْنَدْ. وبالتالي فالعلاقة اليمنية اللبنانية عميقة الجذور في التاريخ، والفينيقية إمتداد وتطوير حضاري يمني عربي.

ثانياً: ان وجود العرب، بمعنى العشائر ذات اللهجات العربية في بلاد الشام، كان وجوداً يرتقي إلى البدء. بدلالة أسماء القرى والمدن والجبال والأنهار اللبنانية، ذات الجذر في القاموس العربي، التي وجدنا غالبيتها في أسماء عشائر ومواضع يمنية باقية حتى اليوم. وهي أسماء العشائر التي استوطنت في البدء. كما ان العديد من أسماء المواضع اللبنانية يتكرر في فلسطين كما في اليمن، إضافة إلى ان حوالي ألف وسبع مائة قرية خربة فلسطينية تحولت اسماؤها إلى قرى وعائلات لبنانية من مختلف الطوائف: من خربة رمال وبزيع وخنافر وداعوق ودندن والقارح والهراوي نهاية ببيت شباب (راجع كتابنا: «معجم معاني واصول اسماء المدن والقرى الفلسطينية»).

وبالتالي، فإن اسطورة مجيء العرب مع الإسلام فقط، أسطورة متهافتة، لأن الفتح الإسلامي شكل موجة كبرى او آخر الموجات الكبرى من الإنتقال. فعشائر ربيعة: بكروتغلب وحصن «الأندرين» في شمال سوريا، تماماً كعشائر بهراء وتنوخ وغسان وطيء وبني كلب (والكلب طرف الجبل)، وكانوا من النصارى. وعند الفتح الإسلامي للجزيرة شمال سوريا، هرب بعضهم إلى اراضي الروم، ثم عادوا بعدما أرسل الخليفة «عمر بن الخطاب» – حسب الطبري – رسالة إلى امبراطور الروم جاء فيها: «ان بعضاً من ضاحية العرب اتى ديارك..» كما ان الفرنسي «رينيه ديسُّو» في كتابه: «العرب في سوريا قبل الإسلام»، قدم نماذج من الكتابات اليمنية بلهجاتها المعينية

والسبأية وجدها على صخور منطقة الصفا في حوران والتي ترجع إلى عام ٣٠ ميلادية. ومن آلهة الصفا: رضى، رحَّام، ضحى، الله، جدعويذ. وبالتالي فإن العشائر العربية في بلاد الشام أيام الرومان، كانت متعددة الديانات، لحظة كانت النصرانية تحديداً محل إضطهاد حيث انتشرت في الامبراطورية. وكان المثل العربي في حمص «اذلُّ من قيسي في حمص»، وذلك لقلة وجود المنتسبين إلى عشائر عدنان بين كثرة يمانية تنتسب إلى قحطان. وبين ٦١٥ و ٦٢٩، كانت بلاد الشام مسرحاً للغزو الفارسي، ومسرحاً لقتالهم الذي انهاه «هرقل»، الذي اكمل دورة النهب والتدمير بما فرضه من جباية عالية على المدن والقرى، مثال ما فرضه على دمشق من مبلغ (مائة ألف دينار) اثناء ولاية منصور بن سرجون عليها. وبين هذا القهر وقهر الصراعات المذهبية بين أصحاب الطبيعة الواحدة، والمذهب الرسمي في الطبيعتين للسيد المسيح، كان الإستقبال الايجابي لمعظم النصارى من عرب الشام للفتح الإسلامي.

ثالثاً: ان الثقافة الشعبية في بلاد الشام واحدة موحدة تاريخياً، بما تعنيه من مفاهيم ومعتقدات وطقوس وآداب متناقلة شفاهاً. والآداب منها: الغناء، الزجل، الحكايات، الأساطير، الأمثال، الرقص، الألعاب. وهذه الثقافة الشعبية الواحدة هي احدى الدلالات على وحدة الأصول العشائرية التي نجد ابسط تجلياتها في طقوس العرس الشعبي التي تخفي ظلال العشيرة ومفاهيمها.

رابعاً: إن مشكلتنا الأساسية هي ان التاريخ كتب حديثاً عبر الإستشراق الغربي، وبناء لمصالحه غالباً، وبناء لمصالح دولية وعلى قياس الدول التي رسمت. فيما الصحراء لم تترك لنا نقوشاً، لحظة أدخلت اليمن في عزلة منذ ما قبل الإسلام، ودمرت منجزاتها بفعل الغزوات، والتي نعيد اكتشافها مجدداً. وهنا لا بد لي من ملاحظة هامة وهي: ان الحكايات الشعبية اليمنية، كما حكاياتنا، تؤرخ الزمن بحدث ما. وفي الحكايات اليمنية تأريخ يقول: حدث عام غزو دقيانوس، او سنة دقيانوس. وهو دقلديانوس، الامبراطور الروماني، الذي يقول فيه المؤرخ «ول ديورانت» في «قصة الحضارة»: انه الامبراطور ديو قليز ابن معتوق دلماشي. وكان ديو قليشيان، او دقلديانوس – الإسم الذي اختاره – قد شغل منصب قنصل وحاكم في بعض الولايات قبل ان يصبح قائداً لحرس القصر. حيث أثبت دراية هامة بشئون الحكم والحرب، وكان ثالث ثلاثة تدين لهم الأمبراطورية بما أرساه من تنظيم جديد. وقد حكم بين (٢٨٤ – ٣٠٥). والمعروف انه مُورس أعنف إضطهاد للمسيحية بين ٣٠٣ و٣١٣م. ويشير الشاعر اليمني «عبدالله البردوني» في كتابه: «فنون الأدب الشعبي في اليمن»، ان سنة دقيانوس، تشير إلى الغزو الروماني بقيادة «أوكتافيوس» التي تعرضت له اليمن. ولست أدري أكان ذلك في فترة تولي دقلديانوس منصب الولاية أم منصب الامبراطور، بل يمكننا اعتباطاً اعتبار غزو اليمن هذا للسيطرة على الطريق التجاري المار من قلاع الاردن وساحل الحجاز، حتى اليمن، انه تم بين ٢٧٥

و ٣٠٥م، العام الذي استقال فيه الامبراطور. والسؤال البسيط هنا: هل من مؤرخ عربي أشار إلى هذه الغزوة؟ وهل كانت العشائر المسيحية اليمنية محل اضطهاد فيها ام لا؟

بُولس في نجران والانساب اليمنية

بعد هذه المحطات التي تشكل خلفية لما نطرح، نقارب السؤال عن المسيحيين العرب في الجزيرة العربية، وفي اليمن تحديداً. ونسأل: من أين جاءت تسمية قرية بولس في نجران شمال اليمن؟ وكيف وجد إسم بولس في بطون العشائر اليمنية؟ يذكر الهمداني المؤرخ اليمني الذي عاش آواخر القرن الثالث الهجري في كتابه «الإكليل»، «إن اولاد يحصب بن دهمان، بولُس وجهران وذمار. وقال ابو نصر: واولد بولس بن يحصب، يوسف بن بولس. فاولد يوسف بن بولس ودد بن يوسف. فاولد ودد بن يوسف يريم ويوسف بن ودد، واولد يوسف بن ودد، ذا دادين، وذا ظريه، واولد الحصين ابن بولس، ويقال له ذو بولس بن يحصب بن عامر بن الحصين». اي ان بطن بولس يرجع إلى نسب واحد منه بطون جهران وذمار اولاد يحصب. وهذه الأسماء ترجع لمدن ومناطق يمنية اليوم، اي ترجع إلى تاريخ سحيق. لكن هذا ليس إلا دلالة على ورود إسم بولس في الانساب اليمنية، او عشائر بولس. فيما نسأل ايضاً عن صحة ما يشاع ان المسيحية جاءت نجران شمال اليمن من خارجها، وقد كان قس بن ساعدة الإيادي أسقف نجران ايام النبوة الإسلامية، وأن كلمة اغليزيا اللاتينية، اغليز قد تعربت إلى قليس.

في القاموس العربي، نجد القليس كصفة وكصومعة للتعبد، ونجد الكنيس: المكان المكنوس المنظف للعبادة، وهو في العبرية: الكنيست. واضافة إلى ورود القليس في الانساب اليمنية حسب الهمداني، فإن القليس والكنيس واحد. وذلك لسهولة الإبدال اللهجوي بين القاف والكاف (قال - كال) وبين اللام والنون، مثال: سرحان - سرحال، واسماعيل - إسماعين. اما اغليزيا - اغليز، فإنها منقولة من اللهجات العربية البدوية خاصة والتي ما زالت في البادية الشامية، حيث: قال هي غال، وقاسم هي غاسم، بابدال القاف من قليس إلى غه، وحيث يقال: دزَّ ودسَّ، وباريس وباريز، بابدال السين زيناً. وهكذا باتت القليس، الغليز، اغليزيا. وتاريخاً فإن نصارى نجران عاصروا الرسول، وظلت العشائر العربية المسيحية في جزر الفرسان في البحر الأحمر مقابل الشاطئ اليمني، كما ظلت المسيحية في عشائر جزيرة سقطرة حتى القرن السادس عشر الميلادي، كما ان «إبن المجاور الدمشقي» في رحلته المسماة «صفة مكة وبلاد اليمن، او تاريخ المستبصر»، التي قام بها عام ١٠٠٣هـ ذكر أن ثلث سكان نجران كانوا من النصارى. ونسأل: اليست السور القرآنية الكريمة التي تناولت السيد المسيح عيسى بن مريم، والنصارى، والرهبان، والإنجيل والقسس، إلا عينة للمئات من السور التي تكلمت عن النصارى العرب عامة ايجاباً وجدلاً. بل تكاد سورة مريم والمائدة والبروج تخاطب نصارى العرب. ففي سورة البروج، الإشارة إلى يوسف ذو نؤاس، الملك اليمني الذي تهوَّد، وعمد إلى اضطهاد نصارى اليمن

بحفر اخدود واحراقهم جماعياً. وقد جاء فيها: (قُتل اصحاب الاخدود. النار ذات الوقود. اذ هم عليها قعود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود.) وكان ذلك حوالي ٣٥٠ ميلادياً كما يؤرخ اليمنيون، اي في مرحلة لم يبلغ تنصر الرومان مداه.

مارون الناسك والسرومي

والآن ندخل في صلب الموضوع الذي عيّناه عنواناً لهذا الفصل. ونبدأ بالقول، إن تنصر الامبراطورية الرومانية، التي سميت بيزنطية عندما انتقلت عاصمتها إلى بيزنطة – إستنبول – وفر ايديولوجيا للسلطة لنجدتها، لكن ذلك انعكس على التجمعات العشائرية العربية بصراع اساسه سياسي، رافض لبقاء السيطرة الرومانية، وذلك تحت شعارات معارضة فقهية: فبين إقرار سلطوي بوجود طبيعتين وقدرتين ومشيئتين للسيد المسيح، وبوجوب الإتهام بالهرطقة لكل من يقول بطبيعة واحدة، كان النساطرة واليعاقبة واقباط مصر، والكنيسة الغريغورية الارمنية، وعشائر عدة، على تضاد مع الرومان، بلغ ذروته في المجمع المسكوني عام ٦٨٠م. وعلى قاعدة هذا التناحر مع الدولة البيزنطية، كان ترحيب أتباع الكنائس العربية المعارضة بالفتح الإسلامي الذي اخرج الروم عام ٦٤١م منها. وكان ترحيباً من عشائر عربية بعشائر عربية، اذ ليست معركة اليرموك والقادسية إلا مداخل لإزاحة السلطة على عشائر رافضة من يحكمها. لكن كما يقول كمال الصليبي في «بيت بمنازل كثيرة»، كانت

سيطرة البيزنطيين تمتد من حين لآخر إلى شمال سوريا حتى اجزاء من العاصي، كما حصل ما بين ٩٧٦ و ١٠٧٠م. فكيف أرخ البعض لتاريخ العشائر المارونية اعتباراً من منتصف القرن السابع مع دخول الإسلام إلى معظم بلاد الشام؟

يجمع من ارَّخ للطائفة المارونية، انها نسبت إلى القديس مارون، وان منطلقها كان من شمال سوريا. يقول كمال الصليبي: لقد اهتم الدويهي (اي اسطفان الدويهي البطرك المؤرخ الذي عاش بين ١٦٣٠ و ١٧٠٤) فعلاً بابراز واقع الأمر، في ان الموارنة الذين قامت كنيستهم اصلاً في وادي العاصي، بالقرب من حماه، إضطروا إلى نقل مقر بطريركيتهم إلى جبل لبنان (الجزء الشمالي من سلسلة لبنان الغربية)، ليس بسبب حروب مستمرة بينهم وبين الإسلام، بل بداعي الإضطهاد البيزنطي الذين تعرضوا له في وادي العاصي في العام ٦٨٥م، وليس في العام ٩٠٠. وله (اي الدويهي) رأي آخر في اصول الموارنة، واستناداً إلى قوله، فإن مؤسس الكنيسة المارونية في اواخر القرن السابع، كان يوحنا مارون المعروف بالسرومي. لكنه احتار في نسبته إلى سروم. فقال كانت ذات يوم قرية من أعمال جبل اللكام قريباً من انطاكية (وهنا انني مدين للدكتور كمال الصليبي في تشديده على لقب السرومي، مما دفعني للبحث عنها)، وان الكنيسة أسست عام ٦٨٠م على مذهب المشيئة الواحدة، اي في السنة نفسها التي أدين فيها هذا المذهب في القسطنطينية من قبل المجمع المسكوني السادس، في حين ان المسعودي في «التنبيه والاشراف»،

الذي عاصر وجود عشائر مارونية في القرن العاشر ميلادي في وادي العاصي وجواره، وكان قد عرف مؤلفات المؤرخ قيس الماروني الذي توفي عام ٩٠٢م، يرى ان الكنيسة المارونية نشأت قبل الدعوة الإسلامية بقليل، بين ٥٨٢ و ٦٠٢م.

وإذا كان البطريرك الدويهي، قد جمع سيراً للموارنة، وأقرَّ أنهم ليسوا من سكان الشام اصلاً، وانما وصلوا اليها مهاجرين من مكان آخر، فإن الصراع القيسي اليمني الذي استمرَّ حتى القرن الماضي في جبال العاقورة وغيرها، والذاكرة الشعبية واسماء القرى، يعيدون الأصول إلى اليمن. وإذا كان البيزنطيون قد اخضعوا منطقة العاصي بين ٩٦٩ و ١٠٧٠م، فإنهم طردوا الموارنة الباقين إلى شمال لبنان، فيما ظل موارنة حلب وفلسطين ولبنان تحت الإدارة الأموية.

هذه العشائر المارونية التي تعيشت على الزراعة والرعي، كان زعيمها العشائري رأساً لكنيستها في الوقت نفسه، فعام ١٠٤٥ انتقلت جماعات من الموارنة إلى وسط جبال لبنان إلى كسروان، وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر، حدث الإنتقال إلى جبال الشوف، حيث حصلت الحرب الأهلية التي تركت بصماتها في الايديولوجيا التاريخية اللاحقة التي فصّلت للكيان اللبناني المصنوع كما صنع غيره من الكيانات من خلال اقتسام اوروبا لمناطق من الدولة العثمانية التي هزمت في الحرب الأولى.

يقول جواد بولس، صاحب «تاريخ لبنان»:في نهاية القرن

الرابع، كان حبيس قديس يدعى مارون. ويلفظ إسمه مُوران او مران، يعيش في ضواحي افاميا على نهر العاصي، حيث كانت هذه المدينة مركزاً إقليمياً في سوريا الثانية في شمال غرب حماه. وبعد موته أسس تلامذته مركزاً لنشاطهم هو دير القديس مارون في ضواحي افاميا. وان ديراً آخر في ضواحي دمشق باسم دير مران او مارون، كان الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ - ٧٠٥م)، يمضي فيه فصل الربيع. وان الخليفة الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ - ٧١٥م) توفي في هذا الدير ودفن فيه.

ويؤكد الطبري في القسم الثاني من «تاريخ الرسل والملوك» ، ان وفاة الوليد بن عبد الملك كانت بدير مرَّان قرب دمشق، وانه دفن خارج الباب الصغير، ويورد ايضاً يمانية هذا الدير القرية حين يقول: «سنة ستة وعشرين ومائة، وفيها قُتل يزيد بن الوليد الذي يقال له الناقص الوليد بن يزيد. وقال حرفياً: وذلك بعد ان افسد عليه اليمانية وهم عِظم جند أهل الشام. اي بعد سوء تعامله مع العشائر اليمنية. ويصف ذلك الإنقلاب بأنه: «جاءت السكاسك بنحو ثلثمائه فدخلوا من الباب الشرقي.. ثم اقبل يعقوب بن عمير بن هاني العبسي في أهل داريا (داريا حول دمشق) فدخلوا من باب دمشق الصغير. وأقبل عيسى بن شبيب التغلبي في أهل دوما وحرستا، فدخلوا من باب توما. واقبل حُميد بِن حبيب اللخمي في أهل دير المرَّان والأرزة وسطرة، فدخلوا من باب الفراديس. واقبل النصر بِن عمر الجرشي في

أهل جرش وأهل الحديثة ودير زكّا. واقبل ربعي بن هاشم الحارثي في الجماعة من بني عذرة وسلامان فدخلوا من باب توما.» وهذه الأسماء اسماء عشائر يمنية. فالسكاسك والسكسكية نسبة لأحد ملوك اليمن. اما جرش وعذرة والحارث ولخم، فقرى وعشائر يمنية. وبين هؤلاء اليمانيون كان أهل دير مرّان والأرزة.

اما فؤاد افرام البستاني، في كتابه «مارون»، فيرى ان الموارنة يتخذون إسمهم من «مارون الناسك» الذي توفي عام ٤١٠م قرب حماه. فيما يذهب فيليب حتي في كتابه «تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين»، إلى ان مارون الناسك كان الزعيم الأول، وان يوحنا مارون الذي توفي عام ٧٠٧م، كان بطل الأمة الجديدة، وانه ولد في سروم قرب انطاكية وذلك نقلاً عن الدويهي، الذي اشرنا انه قال: كانت ذات يوم قرب انطاكية.

إلى هنا، لدينا: مار مارون او مُران او مَران الناسك. ويوحنا مارون او مُران السرومي. ونشدد هنا على الناسك والسرومي. ولدينا دير مرّان قرب دمشق. ودير مُران او مارون قرب حماه.

وإذا التفتنا إلى كتاب «عشائر الشام» لأحمد وصفي زكريا، لوجدنا:

- قرى مَران او مُران وسرحة وتلورين (تنورين). مساكن عشائر متحضرة في قضاء الباب شمال حماه. كما توجد قريه مَرانه غربي الكسوة الواقعة جنوب دمشق. وارجو تذكر مُران وسرحة.

- اما في فلسطين، وعبر البحث الذي اكملته في اصول ومعاني أسماء القرى والمدن الفلسطينية، فان خربة مرّان في منطقة القدس. وخربة مرّان في جبال الخليل. وقرية سروح في منطقة عكا. وسروح جمع سرح.

- في الحجاز، وعلى مسيرة ليلتين من مكة المكرمة، يذكر ابن منظور في لسان العرب موضعاً باسم مرّان. قال فيه الشاعر:

إني اذا الشاعر المغرور حرَّ بني

جار لقبرٍ على مرّان مرموسِ

وهنا، لا بد لي من الإشارة إلى معنى كلمة دير. وهي من جذر دور. فثمة عشرات من القرى في بلاد الشام ترتبط باسم دير، وبعضها دير علي مثلاً. فهل هي جميعاً اديرة للرهبان؟ الواقع ان السائد يمنياً حتى اليوم وكما اورد د. احمد فخري في كتابه «اليمن: ماضيها وحاضرها»، ان كلمة دير تطلق على كل تجمع لبيوت لا تتعدى الثلاثة او الأربع. ومن هنا، اشتق دير الرهبان ايضاً.

والسؤال الآن، وامام تعدد الأماكن ذات إسم مُران، مَران، مرّان، وسرحة وسروح، هل نحن أمام عشيرة انتسبت إلى فرد، ام ان هذه الأسماء تدل على عشيرة كبرى توزعت بلاد الشام؟ الواقع انها تدل على عشيرة كبرى، اذ كثيرة هي أسماء القرى العشائر التي تتعدد في بلاد الشام. ويبقى السؤال: من أين جاء الموارنة نسبة لمران

او مرّان. واين هي سروم، ومن هو مارون الناسك، وهل هي صفة للتعبد، ام ان الناسك تشير إلى بطن من عشيرة؟ وما علاقة سرحة التي اقترنت بمران في سوريا، ووجدناها في فلسطين مع خرب مرّان؟

مُـرّان ووادي سروم في صعدة شمال صنعاء

في الجزء الأول من كتاب «الإكليل» للمؤرخ اليمني الشهير الهمداني المتوفي عام ٣٥٠هـ وردت الأنساب التالية: يقول «أولد خولان: حي وسعد وهانئ ورشوان ورازح والازمع وصحار. وان حي أولد سبعة نفر، وسعد ثلاثة، ورشوان خمسة، وهانئ خمسة، ورازح عشرة.

اما الأزمع فاولد عشرة نفر كلهم اعقب وهم:

«مرّان، والكرب والأسووق وحفني وعبدالله ويعلى وثابتاً وعُمراً والناسك. وبعض النساب يقول: شهاب بن الأزمع.

«وقال المسلم بن عباد الأكيلي: رازح خُمسا خولان وازيد. فقال منهم: الأجدود و الاتام وغنى وربيعة ومعن ومالك ومنبه ومرّان ومروان. وكل هؤلاء بنو عمرو بن رازح.

«وآخرون يقولون، ان باقر بن عمرو بن سعد بن خولان أولد: شمر بن باقر، وصعباً، ومنبهاً والقين، وحريماً، وعبّاداً، ومرّان الأصغر، وهي بطون كلها. وبطنا مران الكبيران اللذان انتشر منهما: الرعاء، والشرف، وحبيش، ومصبح ابنا مرّان. واولد سعيد بن جماعة بن

هلال بن هانئ بن خولان: سريحاً، وهم السرح، اهل سروم بني جماعة، وعبدالله والقاسم.

إذاً في بطون خولان، وهي عشيرة عظيمة: مرّان والناسك من صلب الأزمع، ومرّان من صلب رازح، ومرّان الأصغر، وبطنا مران الكبيران من صلب باقر. اما السرح أهل سروم فمن بطن هانئ بن خولان.

ويظهر معنا ان الناسك ومُرّان على وزن فُعال من مرن، بطون من عشائر عدة تنتسب إلى قبيلة واحدة. وهذه انساب مختصرة كما يورد الهمداني. إذاً:

مار مارون (او مُران) الناسك لا تعني التعبد؛ بل زعامة فخذ مارون من عشيرة الناسك، بن الازمع بن خولان. اما يوحنا مارون السرومي، نسبة لسروم مقام بني جماعة، فهو زعيم لبطن من مُران او مارون ونسبه السرومي.

والسؤال الآن: هل تركت هذه العشائر التي ما زال لها وجود في اليمن، اسماءها هناك؟ نقرأ في «معجم المدن والقبائل اليمنية»:

– السرمية: حصن في أعلى جبل الشعر. قال الحجري عنه، انه من أعلى جبال اليمن.

– سروم. وادٍ في الشرق الجنوبي من صعدة في بلاد بني جماعة. ويقول القاضي المؤرخ، محمد بن علي الاكوع الحوّالي في كتابه «اليمن الخضراء مهد الحضارة»، ان لواء صعدة مقر الأمير

والمحافظ، وتحت إدارته مخلاف خولان ابن عمرو. وهو واسع جداً، بما فيه من عشائر جُماعة وصحار ورازح. ونلاحظ في إسم خولان بن عمرو ان عمرو سريانية اللهجة.

– مران: جبل معروف بخولان ابن عامر من أعمال صعدة، به جملة قرى إليها تنسب القسي المرّانية. ومَران حي من قضاعة باليمن، وهم من ولد مَران بن الازمع بن خولان. والمرانية: واد مشهور ببلد الجوف. وبيت المرّاني بلدة من عزلة بني هيثم، ناحية الرجم وأعمال الطويلة.

إذاً، سروم والسرح ومرّان ومَران والناسك من بطون خولان، ومن اماكنها الحالية في اليمن. مع الإشارة إلى ان أحد الأصدقاء ذكر لي وجود قريتين بإسم سروم والسرمية في شمال سوريا، ولم اتحقق من ذلك بعد.

ماذا على صعيد اللغة؟

يقول ابن منظور تحت جذر مرن: مَرَن يَمرُنُ مَرَانة ومُرُونة. وهو لين في صلابة. ورمح مارن: صلبٌ لينٌ. والمُرّان، وهو فعّال: الرماح الصُلبة اللدنة، واحدتها مُرّانة.

إذاً مرن فهو مارنٌ ومَرون ومُرّان ومَرَانة. وعبر اللهجة تتحول مَرون إلى مارون وماروني كنسبة، وتتحول مَران إلى مُران مُراني كنسبة وموارنة كجمع. فنحن نقول: جَوعان، وجِيعان، وجُوعان، والمَرَانة موضع لبني عقيل قال فيه لبيد:

لمن طلَلٌ تضمنَّه اثالُ

فشرجة فالمرانةُ فالحبالُ

وموضع مَرّان الذي يلي مكة، قال فيه الشاعر ايضاً:

صلى الإله عليك من متوسدٍ

قبراً مررت به على مَرّانِ

ويمكننا ان نتخيل الإنتقال من اليمن على الشكل التالي:

من عشائر خولان وبطونها المتعددة، لسبب او لآخر لا ندعي معرفته الآن لعدم قدرتنا تحديد الزمن الفعلي لذلك، وان كان قبل ٤١٠م، تاريخ وفاة مارون الناسك، او ربما في أيام اضطهاد ذو نواس او اثناء حملة دقلديانس قبل ٣٠٠م، إنتقلت جماعات من محيط صعده إلى الشمال مروراً بالحجاز كطريق تجاري ساحلي أكثر أمناً، فتركت إسمها في مرّان او مُران شمال مكة حيث سكنت لفترة، ثم سارت حتى البادية الشامية حيث انفصل عنها قسم من عشائر مرّان والسرح باتجاه الداخل الفلسطيني وتركت اسماءها في خربة مرّان وسروح ومارون الراس، في حين ان القسم الآخر استقر لفترة او بعضها في مران غربي الكسوة، ثم في دير مرّان قرب دمشق. ولسبب او لآخر وتحت سلطة امبراطورية الروم البيزنطية، لنزاع عقائدي، وربما بسبب تنصرهم او بسبب الصراعات مع العشائر البدوية، انتقلت البطون ذات القرابة الواحدة بمحاذاة البادية حتى حماه وحلب. وكان

زعيمها المعروف اواخر القرن الرابع مار مارون الناسك، نسبة لبطن منها. وفي اواخر القرن السابع الميلادي، كان زعيمها يوحنا مارون السرومي تمييزاً عن أسماء أخرى في العشيرة ودلالة على نسبه. تماماً كاسماء قرى: مار جرجس بحرذق، ومار جريس الحمراء. ويبدو ان عشائر عديدة من نسب خولان كانت تستقر في المنطقة من شمال سوريا مروراً بسهل البقاع حتى فلسطين، تحولت انسابها إلى افخاذ وبطون دون اقترانها بنسب خولان. وابسط دليل على ذلك انك تجد في أنساب خولان اليوم في اليمن أسماء عائلات في لبنان تمتد حتى فلسطين، منها: آل بكي (بعل بكي، وادي بكة)، الدحداح، حبيش، عون، سايغ، الضيقة (في بعلبك)، طربيه (الشمال)، الدحارج (دحروج في البقاع الغربي وشحيم)، شوكان (عائلة شوكين في شوكين النبطية)، سمهوم في بيروت، شوبان (نسب أهل كفرشوبا)، الشحيمات (عائلات الشحيمي في كسروان)، الصوفي (في بيروت)، شدياق، نصر، جعارة، راشد، علي الطاهر، سالم (في جزين)، الصياد، المنصوري، رومين، غادر (في شبعا)، حرب، برير (في شفا عمرو).

وإذا اردنا ان نقدم عينة من العائلات اللبنانية اليمنية الحاضرة، لذكرنا مثالاً من الأسماء، تتوزع الطوائف اللبنانية ومنها: اللوزي، بزاعي، بقاعي، جرادي، دعدي، عربيد، علاية، محرز، محفوظ، مقبل، وهيبة، سرور، العميري، عطوي، العماد، الحنش، زريق،

حريبي، تميم، خُضري، دوماني، زعتري، سالم، سرحان، سنان، عُبيدي، عرابي، قاديشا، مفرح، مطر، ذبيان، زهيري، مزاحم، جوني، عفيش، الصدِّي، دمُوس، حمدوني، قدوح، دبَّانة، عياش، قْماطي، النقيب، نعماني، شْميساني، كبِّي، عرموني، مسلَّم، ريحان، رشيدي، بجاني، الصرَّاف، سمارة، يونس، جوَّان، سويد، حْكيمي، جعافرة، عجمي، علاَّو، العيد، العتر، ناجي، طاميش، مرقدة، سلوم، بو جميل، صنديد، شقير، غانم، فياض، شقير، فرج، جْعارة، كزما، غْسيلي، ثابت، شمعة، اهمجي، نعُّوس، خنافر، شيخة، عازور، الحافي، رْبيز، مرزوق، مدقة، بعيون، يماني، شريم، نعيمي، غنَّام، الرفاعي، الريِّس، ابو عقل، الروس، النور، التويني، شِرفان، توما، ابو رعيدي، مطلق، حريز، الدين، يمِّين، زيدان، الغيث، كسَّاب، عبد الباقي، علامه، حْبيش، حاتم، طراد، سماحة، مهنا، سباعي، عنان، كلش، دكاش، قمر، زيلع، عريان، حنش، معشر، صنبر، سبكي. ثم اليس من المثير أن تتكرر اسماء: اسحاق ونصري وسمعان وجبران في اليمن وغالبها اسماء مسيحية كريمة.

نعود إلى البحث. ان كلمة مار تعني بالعربية المدبر. (مَارَ لِعِيالِهِ، قَدَّمَ لهم الطعام)، اليس المدبر البطريركي لقب يطلق على من يدير امور الكرسي الماروني في غياب البطرك؟ وهو لقب الشيخ الأعلى للعشيرة، ولا تعني القديس. فمار جريس له حكاية يمنية، وفلسطينية لبنانية، وقرى باسمه في لبنان وسوريا، وله حكاية ومزارات في مصر، واخيراً لم تعتبره روما قديساً، فيما هو في ذاكرتنا مار جريس الخضر

قاتل التنين: البطل. وإلا ما هي قداسة مار ماما، ومار شينا، ومار عبدا هرهريا، ومار موسى الدوار، ومار بطرس كرم التين؟ وكلها اسماء لقرى لبنانية او اديرة. فهنا مار مارون الناسك، اشارة لزعيم عشيرة، ميز عن مارون السرومي. وكان صاحب هذا اللقب محاطاً، ضمن البنية الأبوية العشائرية، بمشايخ البطون المقدمين، وهو لقب ما زال في العشائر الأردنية، فيقال: فلان شيخها ومقدامها. ولذلك كان مار يوحنا يلعب دور الحكيم والبطرك والجنرال في آن واحد.

ونخلُص إلى القول: ان عشائر مارون، مران، مِرّان، الناسك، عشائر عربية من وادي سروم في منطقة صعدة شمال صنعاء. وهم من اقحاح القحطانية العربية. ويمكننا إعادة صياغة الخلاف الايديولوجي اللبناني كما يلي:

١ – ان للبنان تاريخ لا ينفصل عن محيطه، وليس ملجأً للأقليات المضطهدة دينياً من قبل المسلمين، لكنه ملجأ الضعفاء الذين يُجلون قسراً عن عشائرهم او تطردهم العشائر الأقوى، لأن جبال لبنان المدرجة القليلة المساحة التي لم تعرف السدود المائية لا تقدم فائضاً انتاجياً هاماً يرفع غطاء الجوع والبؤس.

٢ – ان الموارنة عرب من اليمن، ساهموا في حضارتها عبر انتماءهم لعشائر خولان. وهم ورثة للحضارة الفينيقية العربية، كغيرهم من غالبية اللبنانيين الذين يشاركونهم الأصول اليمنية.

٣ – ان غالبية اسماء القرى والمدن والجبال والأنهار اللبنانية الفلسطينية، ذات أصول يمنية. واذا لم أدرج عبارة السورية ايضاً، فلأنه لم تتسنى لي دراستها بعد، علماً ان العشرات من القرى اللبنانية تتكرر في سوريا، وابسطها: الفريكة، عفرين، القبيات، تنورين، داريا، عنتورة...

بقي اخيراً، التذكير ان في لبنان قريتين ايضاً تؤكدان ما ذهبنا إليه، وهما: قرية علي الموران، ومارون الراس. واحدة شمالاً، والثانية جنوباً. الاولى فخذ العلي من عشائر موران، والثانية فخذ مارون من عشائر الراس، وآل الراسي في حماه وبعلبك وزحلة.

بالنتيجة، ربما يطرح أحدنا السؤال التالي: لماذا اليمن؟ وهو سؤال مشروع وتاريخي، والجواب، ان الحضارة الأولى التي تؤكدها الآثار ويؤكدها ارنولد توينبي في كتابه «تاريخ البشرية» من تدجين الماشية وقطع الأحجار الكبيرة كانت في اليمن، الذي يعتبرها الجزء الحيوي في هذا المحيط، والتي كانت بعيدة عن الجوع. فموقعها على ممر تجاري يمتد من الشام إلى الحجاز إلى الشرق وفَّر لها فائضاً، كما ان الأمطار الموسمية التي طوعت بالسدود المعروف منها مائه وسدين، وتجليل المدرجات وتنظيم القنوات قدمت فائضاً غذائياً وقدرة مائية كانت العشائر المحيطة تطلبها باستمرار. وكانت امبراطورية «ذو القرنين» اليمني قد امتدت مشرقاً ومغرباً براً وبحراً، ولذلك كانت العشائر اليمنية الاولى تتركز هنا وهناك. يضاف إلى ذلك ان اتساع

التصحر في محيطها كان يجعلها على تناقض مع البدو الذين كانوا يغيرون ويخربون منجزات الري، او التي تدمر بالصراعات المحلية والحروب الإقليمية التي كانت تستهدف الطريق التجاري، والتي كانت تدفع إلى الهجرات. اما جغرافياً، فإن تفجر البراكين التي امتدت من جبال الحجاز حتى مرتفعات اليمن الغربية، عوامل ساعدت في تخريب وتهديم مناطق يمنية واسعة، مثال «جنة ضروان» التي ضربتها البراكين شمال صنعاء والتي يشير لها القرآن الكريم في سورة القلم: إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ اقسموا ليصرِمُنَّها مُصْبِحِينَ. ولا يستثنون. فطاف عليها طائفٌ من ربك وهم نائمون. فاصبحت كالصريم».

واليمن هي منبت انبياء التوراة، كانت سعيدة فعلاً في مراحل هامة ثم عانت انهيارات الحضارة التي تلغي وجوداً ولغة ومنجزات.

وكلمة اخيرة: هل اخطأ الدويهي في نسبة سروم إلى جبال اللكام في انطاكية؟ الواقع أنه نقل معلوماته من الحفظة الذين زادوا عليها عبارة انطاكية لمجرد ان اللكام فيها. اما الحقيقة، فإن اللكام اسم عشيرة يمنية ما زالت بقاياها في قرية اللكمة، وهي من قرى خولان العالية من عزلة مسور شمال صنعاء اليمنية.

عن اصول الموارنة للدويهي

يعتبر «أصل الموارنة» الذي كتبه البطرك «اسطفان الدويهي» في القرن الثامن عشر، المرجع الأساسي للعديد ممن ارَّخ للعشائر المارونية، حيث صودر على صحّة مقالاته دونما نقد، رغم الأفق الأوسع من المراجع والكتابات التاريخية المتوفرة اليوم، والتي لم تكن متوفرة لدى البطرك الدويهي في حينه. فماذا جاء في كتابات البطرك؟

تحت عنوان «في لفظة مارون وتأويلها وفي المواضع والناس الفضلا الذين انشهروا بهذا الإسم» يورد المؤلف ان «لفظة مارون – او مُرون، سريانية هي، وتشتق من Mara الذي يعني به السيد والرب... وفي العلم النحوي لمَّا يقصد الإنسان تصغير هذه اللفظة يقول «Mârûna» وان الإسم بات في النقل إلى اللغة العربية مارون. وفي اللغة الرومية مارونس ومارونيوس ومارا». ورغم ان «اغناطيوس يعقوب الثالث» يضيف على معنى مار انها المرء ايضاً، فإن المسود خطأً في كتب اللغة ان خلدون وزيدون وعبدون اسماء مصغرة، ذلك ان هذا الرأي يتعاطى بالاحرف ولا يتعاطى بالتعاقب التاريخي الاجتماعي اللهجوي، لأننا نرى ان خلدون وزيدون وعبدون الفاظ سريانية لأسماء الجمع لزيدان وخلدان وعبدان، ابدلت فيها الألف إلى واو حسب إحدى اللهجات السريانية (الياس – اليوس، جبّور في جبّار)، وبالتالي هي ليست تصغيراً بل اطلاق إسم الجماعة على الفرد بلهجة سريانية.

ويتابع الدويهي انه «لموضع الإسم وسهولة لفظه وشرفه في المعنى، كثيرون من القدما، وخاصة في بلاد الشام سمّوا اولادهم والمدن والقرى التي اختاروها لذاتهم»، والواقع ان اسماء المدن والقرى ترجع للعشائر الأولى التي سكنتها، في حين ان تسمية الفرد في النظام العشائري ترتبط بتكرار اسم الجد في حين تبقى الكنية لنسبه العشائري. فتاريخياً لم يكن الإسم الثلاثي للإبن والأب والعائلة هو السائد كما نراه اليوم، فبطاركة الموارنة الأول وحتى قرنين كانا على سبيل المثال (يوحنا الجاجي، دنيال الحدشيتي)، اي الكنية تلحق العشيرة – القرية. وبالتالي فإن تعدد اسماء مارون – مران – موران يرتبط بأفخاذ من هذه العشيرة. وقد ذكر الدويهي امثلة تؤيد رأينا حين اورد (ص٦٢ من طبعة اهدن ١٩٧٣) عن قريتين في جنوب لبنان: «مارون الراس ومارون الركين، وان الركين اخذت الإسم لانها كثيرة الماء طرية الأرض». وإذا كانت عشائر الاركيوات ما زالت في سوريا، وقرية اركي في قضاء الزهراني، فإن مارون الركين يبدو انها انتهت كقرية ولم تكن موجودة اساساً، علماً ان الركنة من اشهر جبال وصاب السافل ومن اعلاها جنوب غرب مدينة صنعاء اليمنية، وبالتالي فإن التعدد في انتشار الإسم (مارون الراس، مارون الركين، مارون المزرعة في جبيل ومارون القرية في حراجل، دير مران، خربة مران في القدس...) يدل على تعدد توزع العشيرة وافخاذها كما بينا في المبحث السابق.

وفي الصفحة ذاتها يذكر الدويهي إن اسم مارون وارد في التوراة في سفر يشوع (وهو يشوع بن نون الذي كان خليفة لموسى، الذي هاجم حصن أريحا وعيا وحارب ملوك شارون وترصة وجادر وحرمة وعراد وتفوح وحافر وافيق ومادون وشمرون ويقنعام ومجدو، والذي طرد العشائر السبعة: الحثيين والحويين والفرزيين والجرجا شيون والأموريين واليبوسيين.) وإذا كان حصن أريحا ما زال غرب صنعاء بلفظه العبري يراخ التي تلفظ بعبرية اليوم يريخو إلى جانب حصن عيّانة، فإن قبر يشوع بن نون ما زال في جبل عيبان غرب صنعاء غير بعيد عن يراخ وعيّانة. اما الملوك (رؤساء العشائر الذين حاربهم)، فهم إلى الجنوب من صنعاء. راجع الفصل السابع من كتابنا: «التوراة العربية واورشليم اليمنية».

نعود إلى الدويهي الذي اشار إلى انه في الإصحاح الحادي عشر من سفر يشوع «بيان انها مدينة جليلة» (اي مياه مارون) وان في عصره كان مقلد سياستها يوباب الملك. وكان ينقاد إليه الكنعانيون والاموريين واليحثيون والفرزيون واليابوسيون مع ملوكهم وجنودهم الذين في الجبال والذين في السواحل، ويحلّون على مياه مارون، وكانوا مثل الرمل. فلما خرجوا لقتال يشوع بن نون ظفر بهم، وقتل ملوكهم وضرب مضاربهم بالنار».

واذا عدنا إلى الإصحاح الحادي عشر من سفر يشوع (الذي ربما لم يكن متوفراً لدى الدويهي او منسوخاً حسب لهجة الناسخ)،

لما وجدنا عبارة مياه مارون التي حاول الإيحاء أنها مارون الركين وجعلها في جنوب لبنان لإعتباره ان مسرح عشائر التوراة في فلسطين. نقرأ في الإصحاح الحادي عشر ما يلي:

«فلما سمع يابين ملك حاصور ارسل إلى يوباب ملك مادون (اعتبره الدويهي ملك مياه مارون) وإلى ملك شمرون وإلى ملك اكشاف، وإلى الملوك الذين إلى الشمال في الجبل وفي العربة جنوبي كروُّت وفي السهل وفي مرتفعات دور غرباً، الكنعانيين في الشرق والغرب فخرجوا هم وكل جيوشهم معهم شعباً غفيراً كالرمل الذي على شاطئ البحر في الكثرة، بخيل ومركبات كثيرة جداً. فاجتمع جميع هؤلاء الملوك بميعاد وجاءوا ونزلوا معاً على مياه ميروم لكي يحاربوا إسرائيل».

إذاً اجتمعوا في مياه ميروم وليس في مياه مارون ولا مارون الركين. وإذا اردنا تحديداً لمكان مياه ميروم، فإنه يفترض ان يكون جنوب صنعاء حيث وجدنا كافة اماكن مسرح عشائر التوراة. وبالعودة إلى كتابنا «التوراة العربية واورشليم اليمنية. ص ١٥٤»، نقرأ ما يلي:

«مياه ميروم: يورد ابراهيم احمد المقحفي في كتابه، «معجم المدن والقبائل اليمنية» عن يريم بأنها: مدينة بالجنوب من صنعاء بمسافة ١٠٥ كلم تقع على سفح جبل يصبح المطل عليها من الشمال الشرقي، تنسب إلى يريم ذو رعين، وترتفع ٢٤٠٠م عن سطح البحر.

والمدينة القديمة تعود لعهود الحميريين كانت فيما يعرف الآن بأكام المرايم على مسافة ربع ساعة من المدينة الحالية. والمرايم اكام يظهر فيها البناء القديم. ومن سفح هذه الأكام يخرج النبع المشهور بالمريمي، يشرب منه الأهالي وماؤه عذب». إذاً مياه المرايم الباقية اليوم هي مياه ميروم بعيداً عن لفظ مارون الذي طوَّعه الدويهي ليسجله في التوراة غيرة ولهفة لايجاد سند وبعد تاريخي لعشيرته.

ويورد الدويهي (ص ٦٣) ان مدينة مورون كانت في الأندلس، وان مونيفس ملك مصر تلقب باسم مارون، وكذلك الشاعر ويرجيليوس، وان الكنيسة الرومانية كانت تقيم العيد في الخامس عشر من شهر نيسان للقديس مارون الشّماس، والروم يعيدون لمورون القس الذي قضى في دولة داكيوس الملك عام ٢٣٠م. وفي الكتب السريانية سيرة لإبراهيم واخيه مارون من قرية قلش في ديار بكر، شمال العراق. لكنه ينقد مقالة كتاب مثل البارونيس وجبرايل الصهيوني الذين نسبوا الموارنة إلى مدينة مارون بقرب انطاكية، لانه لم يعلم ان احداً من ملة الموارنة قد سكنها. وإذا كان البعض من اليعاقبة ينسبون الموارنة إلى مارون الأياني الذي كان في عصر ويروس بطركاً عليهم، فإن الدويهي يعتبر ذلك نسبة خاطئة لأن الأياني مات شماساً قبل حنا مارون البطرك بـ ١٥٠ عاماً وانه في حينه لم تكن الفرقة قد نبتت بين ملل الموارنة والملكية. لذلك يقرر ان الموارنة قد اتخذوا إسمهم من مارون آخر غير الذين سبق ذكرهم. (إنتهى كلام الدويهي).

وبالإجمال فإن ما ذكرناه آنفاً نقلاً عن الدويهي عن توزع وتعدد ورود إسم مارون، يؤكد توزع العشيرة التي اعطت نسبها لهؤلاء الافراد قبل مارون الناسك والسرومي الذي سيرجع الدويهي نسب العشيرة اليهما في الفصل الثالث وما يليه في كتابه.

في اديرة مار مارون

ويورد الدويهي ان ديراً باسم مارون كان قرب دمشق فوق نهر يزيد، وان ابن الحريري ذكره في تاريخه/٩٩٥م، وأنه شيد بمكان يقال له الدكة بين يزيد وتورا قريباً من دير ماران. اما في بلاد البترون فإن ديراً بناه القديس يوحنا مارون شرق قرية كفرحي عندما فرَّ من أمام جيوش يوستنيانوس الأخرم في سنة ٦٩٤، وانه حمل معه من حماه هامة القديس مار مارون واستقر في كفرحي. اي ان مجيء يوحنا مارون مع عشرته من حماه إلى جبال لبنان لم يكن هرباً من اضطهاد الدولة الأموية، بل هرباً من جيوش البيزنطيين الذين كانوا يتسللون إلى شمال سوريا كما سبق ان اشار كمال الصليبي في كتابه «بيت بمنازل كثيرة» علماً ان الدويهي (ص ١٣١) يقر ان دير مارون على العاصي قد هدمه البيزنطيين وقتلوا خمسماية راهب عام ٦٩٤، فيما فؤاد أفرام البستاني يخالف الجميع ويرجع دمار الدير إلى القرن العاشر ميلادي بسبب الغزوات، ولكن دون تحديد من الذي قام بالتدمير. كما يذكر الدويهي ديراً في ايطاليا انشأه احد الرهبان بعد زيارته عام ١١٣٠ لبلاد الشام، وانه عند عودته حضي برأس القديس

مارون ونقله معه! هذا اضافة إلى دير مارون على نهر العاصي الذي بناه اهالي حمص وحماه.

في يوحنا مارون السرومي واصله الفرنسي!

يقول الدويهي ان «يوحنا السرومي الذي في ما بعد تسما مارون، كان ابن اغاتون ابن اليديبوس ابن اخت كرلومانيا البرنس الذي قدم من بلاد فرنسا إلى انطاكيا، فحكمها وحكم بلاد سوريا في دولة الروم كما تخبر قصته المكتوبة بخط كرشوني، في كتاب قديم، في كنيسة السيدة كرسي دمشق على هذه الصفة». وفي الصفحة نفسها (١١٣) من الفصل الثامن يكرر الدويهي نسب يوحنا مارون السرومي على انه فرنسي ابن اخت ملك فرنسا بقوله: «مثل ذلك تقول قصته التي في سنة الف واربعماية وخمسة وتسعين، ارسلها الأسقف جبرايل ابن القلاعي، إلى القس جرجس ابن بشارة، وثم في سنة الف وستماية واربعة وثلاثين، طبعها فرنسيس كورسميوس في اللاطيني – اللاتيني: مارون كان اصله من معاملة انطاكية ابن محتشمين، وكان إسم ابيه اغاتون، واسم امه انوهاميا».

«وليس ببعيد عن ذلك قول عبد يشوع، في الميمر الذي ولَّفه قبل سنة الف وخمسماية وخمسين في العلما الذين صنفوا الكتب. وقد ترجمه واشهره في الطبع ابراهيم الحاقلاني... وانه يتسما ايضاً السرومي لكون سروم كانت قرية كبيرة في جبل السويدية بالقرب من انطاكيا، وهي يوميذاً خالية».

واذا كان يوحنا مارون السرومي من اصل فرنسي، فلا بد ان يكون ابني اخته ايضاً من الأصل نفسه، فيقول (ص ١١٤): «وكان لاغاتون ايضاً ابنة، رزقت من كرم الباري ولدين، وهما ابراهيم وكورش. فابراهيم الذي كان البكر تسلم تدبير جماعته (اي عشيرة الموارنة). وكان ذا شور بليغ وشجيع في الفروسية. وعندما انتقل خاله من دير حماه إلى سمر جبيل التي فوق البترون. وكان هو المتكلم على الجيش وكروش الذي تسما ايضاً كروس وكروسي، تبع سيرة خاله، وتخلف بعده في رياسة الكرسي الأنطاكي».

هكذا ادخل الدويهي إسم مارون في التوراة، وغرَّب يوحنا مارون السرومي، وعارض رأي ابن القلاعي في نسبه إلى مارون، وأصرَّ على انه تكنَّى بمارون على إسم الدير في حماه ومنه إسم الموارنة، «اما اسمه الخاص فهو يوحنا اغاتون» الفرنسي الأصل. وبما ان قورش قد خلفه على كرسي البطريركية فقد جعله حفيداً لأغاتون الفرنسي. واذا كنا لا نلوم الدويهي لأنه كان يكتب بعاطفته وبعيداً عن توفر المراجع لديه، بقدر الإعتماد على الثقافة الشعبية المتناقلة شفاهاً، إلا ان اللوم يقع على من ينقلون عنه اليوم، دونما تفحص ونقد لما كتبه. ان الحس التاريخي عند الدويهي لوضع تاريخ للعشيرة مسألة هامة، لكن محطات عديدة قد افتقدت للصوابية. لقد بيَّنا ان مياه مارون لم ترد في سفر يشوع، بل مياه ميروم اليمنية. كما ان تعدد الأديرة والأسماء يثبت كنية مارون لعشيرة متوزعة في بلاد الشام، اما ان يوحنا مارون السرومي الذي ذكرنا انه ينتسب إلى وادي سروم

شمال صنعاء وان مران احد بطون عشائر خولان وكذلك الناسك، فإن إعادة نسبه إلى اصل فرنسي فيها مبالغة من الدويهي على عكس ما قاله ابن القلاعي قبله. وفي كل الأحوال، لقد تصدى كمال الصليبي لهذه المقولة في كتابه: «بيت بمنازل كثيرة» حيث أشار «ان تأكيد الدويهي ان والدة يوحنا مارون كانت في الواقع اميرة فرنجية من السلالة الكارولنجية. وفي هذا خطأ تاريخي فادح لم ينتبه إليه الدويهي. فالاسرة الكارولنجية - وهي الأسرة التي كان ينتمي إليها الامبراطور شارلمان، لم يكن لها وجود في القرن السابع، ولم يكن ظهورها في اوروبا الغربية قبل القرن الثامن» (ص ١١٥).

وللإضافة في تأكيدنا على ان عشائر مُران من قبائل خولان اليمنية، فإننا سنورد اسماء بعض العائلات اللبنانية التي ما زالت في اليمن حتى تاريخه، او ورد ذكرها في كتب التاريخ اليمني ومعظمها عائلات مارونية اليوم، كذلك سنورد بعض أسماء العائلات اللبنانية المنحدرة من بطون العشائر الأردنية الحاضرة، إضافة إلى ذكر اسماء الخرب (القرى الخربة الفلسطينية) التي تحول اهلها إلى السواحل اللبنانية، ليظهر لنا ان قدوم العشائر المارونية المتوزعة كان بعضه عبر شمال سوريا إلى شمال لبنان والبعض الآخر عبر فلسطين إلى السواحل اللبنانية. وكل هذا يؤكد التكوين التاريخي للعشائر اللبنانية المتجمعة من محيطه العربي.

في اسماء العشائر والعائلات اللبنانية اليمنية

إذا كنا في كتابنا «اليمن هي الأصل» قد ارجعنا اصول اسماء المدن والقرى اللبنانية إلى اليمن، فإننا هنا لن نكرر مضمون كتابنا، بل سنورد أسماء قرى وعشائر منطقة جنوب اليمن، مع إستبعادنا للأسماء التي قد تكون منحدرة من إسم احد الجدود:

مدن وقرى وعشائر لحج

اهم مدنها الحوطة. عشائر الحويطات ما زالت في الأردن، وآل حوَّاط في جبل لبنان ومن قراها: الحمراء، عمران، ثعلب، شقعة، العارة (وادي عارة في فلسطين وعين عار في كسروان)، نابية. هذه القرى والمدن تتكرر في لبنان باسماء قرى وعائلات ومناطق. ومن عشائر لحج:

- السلامي. آل سلامة في عدة مناطق لبنانية.
- أسلوم. آل سلُّوم في البقاع الشرقي وقب إلياس والجبل.
- أغابرة. الغبيري في الضاحية الجنوبية.
- الكور. كور في البترون.
- هرَّان. مار عبدا هرهرياً إسم قرية لبنانية.
- بزاعي. خربة بزاعي في فلسطين. آل بزيع في قرية زبقين الجنوبية. بزعون في منطقة بشري.
- بقيعي. آل البقاعي في عدّة مناطق، خاصة في إبل السقي.

- جبري. في عدّة عائلات لبنانية وخاصة بلفظ يسكن الأحرف: جبر.
- حيدري. آل حيدر في الجنوب وجبيل والبقاع. والحيادرة في مرجعيون.
- جرادي. آل جرادي في قرى جنوبية.
- دعدعي. آل دعدع عائلات فلسطينية في بيروت.
- عريبدي. آل عريبيد في الشوف.
- علاية. آل علاية في بيروت، ومنهم كان مفتي الجمهورية الأسبق الشيخ محمد علايا.
- محارزة. آل محرز في الجبل.
- محافيظ. آل محفوظ في الجنوب والبقاع وشحيم والجبل.
- مقابيل. آل مقبل في الجبل.
- وهيبة. آل وهيبة في كسروان.
- سرور الفتاحي. آل فتاح في اقليم الخروب، وسرور في الجنوب والبقاع.
- بنو عطية. آل عطية في عدة مناطق لبنانية.

- العميري. آل عميرة في الجبل.
- عطوي. آل عطوي في عدة قرى جنوبية.
- العمادي. آل العماد في الشوف.
- الحنشة. آل الحنش في الجبل.
- الزريقي. آل زريق في الجنوب وفلسطين ودمشق.
- الحريبي. آل ابو حريبي في قرى زوطر الجنوبية.

قرى وعشائر الصبيحي

من قراها المتكررة اسماؤها في قرى وعائلات لبنانية: شور، الزريقي، وادي طوران (طورة)، وادي حريم (حوش الحريمة)، غيل بربر، (البربارة - آل بربر).

ومن قبائلها الحاضرة: البسوس، العربدي، الدبيني (دبين قرب مرجعيون)، صبرة، الزعوري (نبي زعور قرية لبنانية)، القبيعي (قبيع في عاليه)، الحوباني (وطا الحوب قرية لبنانية)، الوحشي (ظهر الوحش)، الزفيتي (زفتا).

قرى وعشائر الحواشب

من قراها ومدنها: دار شيبان، الحديب (حديب في بيروت)، آل عبّاد (عبادية)، اللحجين (قرية لبنانية)، مريب (بمريب قرية لبنانية)، بسرية، شعثا، القمعة (القموعة)، مشقي، بلّة (دير بلة في البترون)،

نبو (نبوة، قصر نبا). الأغبري، الأبسوس، القمال، قدش، رزان، وادي بلة، جهيلي (الجاهلية في الشوف، وهي الإسم نفسه لشاهين وجاهين، كما سرحان وسرحال)، جوسي، حليص، حنشي، سناني (سنان في بيروت وكذلك سن الفيل)، كعيدي (كعدي في البقاع)، آل نبي، وهيبي. ومن قبائلها:

- الحناكسة. آل حنكش في زحلة.
- عدلان. عدلون في الجنوب. وآل عدلوني في بيروت.
- بسيسي. بسوس في بعبدا، بسيسو في غزة.
- تميمي. آل تميم في بيروت والقدس.
- خضري. آل خضري في بيروت.
- دوماني. آل الدوماني في بيروت، ودوما في سوريا.
- زعتري. تـل الزعتـر مشرق بيروت، الزعـاترة في البقـاع، الزعتري في صيدا.
- سالم. آل سالم في عدة مناطق لبنانية.
- سرحاني. آل سرحان وسرحال في عدة مناطق لبنانية.
- عبيدي. آل عبيدي في بيروت.
- عرابي. آل عرابي في زحلة وقب الياس.
- قديشي. قاديشا في الشمال. آل قاديشا في عانوت.

قرى وعشائر الضالع

من قراها المتكررة في اسماء قرى وعائلات لبنانية: وادي تبن (تبنين)، الكبار، رحبان، جبال مريس (عين المريسة في بيروت، وتفسيرها ببئر ومرسة – حبل، تفسير ساذج)، جبل حورية (آل حورية في بيروت)، جبل العرقوب، وادي ريحان (الريحان قرية – ريحانا، روحانا، ريحاني عائلات في الجبل)، جبل المنارة، انشفي (إنشف قرية لبنانية)، جبل حرير، العنسي، الجوسي، جبل الضبيّات، وادي حورة، وادي تيم، سيلة مسرّه (آل مسرة في بيروت)، كوكبا (جنوب مرجعيون)، وادي جلّاس (جليسة في جبيل)، السرير (السريرة قرية لبنانية)، الجميمية (جميجمة في بنت جبيل)، دار جرنة (جران – جرنايا قرى)، تحمي (تحومي عائلات لبنانية)، بوران (بوري في حيفا، بوار على الساحل)، الحرف، بطيحة (بطحا في الكورة)، براط (البرط في اليمن، والبرط في كسروان وهي عائلة عريقة، وبراتيه قرية لبنانية)، القريَّة، الحجر (وجه الحجر في بعلبك)، جبل الهيث (بير الهيث في جبيل)، شوكان، القطراني، علاية، المعاصر، الرميلية، وادي مطر.

ومن عشائرها:

- اهل حرير من يافع. آل الحريري في صيدا والجنوب.
- بنو مفرح. آل مفرح في الجبل.
- بنو مطر. في عدّة مناطق لبنانية.

- السريحي. آل السرحي في بيروت. سرحة في سوريا، سروح في فلسطين.
- بنو الذيباني. آل ذيبان في الشوف. كفرذيبان في الجبل.
- الزهيري. آل الزهيري في بيروت والشوف.

قرى وعشائر ردفان

من قراها ومدنها: الحمراء، الصفراء، العقيبة، شعب البير، ساكن الحنش، العرقوب، معربان، فرنة، (فرون – فرن الشباك)، العنسي، وادي تيم، شبعين، الضبية.

ومن عشائرها المتكررة في اسماء قرى وعائلات لبنانية: الهدوي (هدوان)، بيت النبطي، اهل عراش، اهل حنش، اهل ذنيبة (الذنيبة قرية)، مسعودي (قرية في عكار)، اهل قديش، اهل القاع (القاع مدينة شرق بعلبك)، اهل عبسي، الحافي، هنومي، الفتى، مقبل، السريمي، جرافي (غريفة)، ومنها ايضاً:

- البكري. آل بكري في البقاع وبيروت.
- المزاحمي. في بيروت والبقاع والجبل.
- العيسائي. العيساوي في العين.
- جوني. جونية مدينة، آل الجوني في الجنوب.

- بيت العفيشي. آل عفيش في زحلة والجبل.
- بيت المرش. آل مرُّوش ومرَّاش في الجنوب والجبل وحمص.
- اهل حنش. آل حنش في الجبل.
- السدِّي. آل الصدي في زحلة، ومنهم الأب بولس الصدِّي الذي علمني صغيراً في مدينة رياق البقاعية.
- اهل النايمة. آل النوَّام في صيدا.
- الحدادين. آل حدادين في الأردن، وحماه، وآل الحداد في عدة مناطق لبنانية. وليس صحيحاً ان كل إسم لعائلة حداد يرتبط بحرفة الحدادة، وإلا لتعددة اسماء الحرفـــ العائلات - في كل مدينة وقرية كبيرة.
- المقصاصي. آل مجاعص في بيروت.
- بيت دمُّوس. آل دمُّوس. في زحلة ورياق.
- حمدوني. وهم فخذ من البكري. آل الحمدوني في الجنوب.
- القدحي. آل قديح وقدوح في النبطية وتبنين وفلسطين.
- اهل لصاصي. آل صاصي في صيدا، ومنهم الفنان الراحل سامي الصيداوي.

- دبَّـاني. من عشائـر منطقة حالمين. آل دبَّـانة في فلسطين ولبنان.
- جبراني. آل جبران في عدة مناطق لبنانية.

قرى وعشائر منطقة يافع

ومن قرى منطقة يافع شمال عدن: الرزان (أرزون)، الصافي، القليلات، الدنوحي (دنحة) القريَّه، الحمراء، عقيبة، حلين، وادي دان، دينيش (كفردينس في البقاع الغربي)، ريشان، حصاحص (بحصاص - بحاصيص) قطران، كَدَّان (كوكدين)، هدَّان، البارك، وادي برَّة (ماروس البرَّانية)، تيم، مرقد (آل مرقدة)، عينات، خنفر (خنافر)، جعار (آل جعارة). ومن قبائلها وعشائرها:

- آل سعيد الراس. مارون الراس في الجنوب، حارة الراسية في زحلة، آل الراسي في ابل السقي.
- اهل مشكي. كفر مشكي في البقاع.
- زيني. آل زيني في المتن.
- مريسي. عين المريسة في بيروت.
- كلَّاسان. آل كلَّاس في عدة مناطق.
- فلسان. كفرفالوس شرق صيدا. وفلسان، واهل بن

فليس اساس إسم فلسطين الذي يرد في التوراة فلشتيم – اي فلستين.

– بينان. بينو في عكار.

– السقل. آل السقلاوي في عدة مناطق.

– الغبران. الغبيري في ضاحية بيروت.

– بن سناني. آل سنان في بيروت.

– عتيق. آل عتيق في الشمال.

– اهل حياني. بني حيّان في الجنوب.

– اهل ريشان. آل الريشاني في عدة مناطق، والنسب إلى قرية راشيا الفخار هو الرياشنة.

– السبكي. آل السبكي في صيدا.

– اهل بلحي. كفرحي قرية لبنانية.

– اهل حاصب. حاصبيا مدينة وقرية. وآل حاصباني في عدة مناطق.

– عياشي. آل عياش في الجنوب والجبل.

– بن قماطة. آل القماطي في الغبيري، والقماطية في عاليه.

– اهل النقيب. آل النقيب في صيدا.

– النعماني. آل النعماني في بيروت.

– الكباني. آل كبي في بيروت.

– العرمي. عرمون إسم قرية في عاليه وكسروان. آل عرموني في عين الرمانة.

– البركاتي. آل بركات في عدة مناطق.

– اهل الصافي. جبل صافي جنوب جزين، وآل الصافي في عدة مناطق.

– مسلَّم–مسلَّمي. آل مسلَّم في الجبل.

– الريحاني. وهم من عشائر مشألي في يافع. آل الريحاني في الفريكة، والفريكة إسم قرية ايضاً في جسر الشغور في سوريا قربها مدينة أريحا.

– حميداني. آل حميدان في الجنوب.

– الرشيدي. الرشيدية قرب صور. آل الرشيدي في بيروت.

– بجّان. آل بجاني في الاشرفية.

– الصرافي. آل صرّوف في الجبل منهم الاديب يعقوب صرّوف.

- اهل سماريه. آل سمارة في فلسطين ومرجعيون.
- البيضاني. بيضون (وهي بالسريانية) في بنت جبيل وبيروت، وبيُّوض في مرجعيون.

قرى وعشائر المفلحي والشعيب

ومن قرى هذه المناطق: جبل حرير، عراعر، قمعة، بدَّة (كفربدَّة في الجبل، وبدنايل في البقاع، واساسها بُدنائين). دار شيبان، شكع، شريم (آل شريم في قرية حومين)، مرط (مرياطة في الشمال)، رهوة بن قادش (قاديشا في الشمال).

ومن قبائلها وعشائرها:

- بن علَّاو. آل علَّاو في البقاع. وعشائر علَّاو من قبائل خولان ايضاً شمال صنعاء.
- الجوباني. آل الجوبي في بيروت.
- اهل يونس. آل يونس في تنورين والبقاع والجنوب.
- اهل جوَّان. آل جوَّان في كسروان.
- اهل سويد. آل سويد في كفرحمام وبتعبورة الكورة.
- الحكيمي. آل حكيمي في البقاع والشمال.
- الجعافرة. عشائر الجعافرة في الهرمل.

- بني العجمي. آل العجمي والعجيمي في بيروت وفرن الشباك.
- بني بلعيد. آل العيد من مشايخ الدروز في الشوف.
- العتري. آل العتر في بيروت.
- اهل ناجي. آل ناجي في الجبل.

قرى وعشائر أبين

من مدنها وقراها: شقرة، الرملة، رحبة، مهنا، القرنعة (قرانعون في لبنان) الكورة، عرمة (عرمون)، مراس، كورة حلم، العرقوب، جرَّوش، جلجلة (جلالة في البقاع)، جعار.

من قبائلها وعشائرها:

- اهل حورة. حورة قرية لبنانية.
- فليس. راجع ما سبق ذكره في فلسان.
- اهل محرز. آل محرز في الجبل.
- اهل سرور. آل سرور في الجنوب والبقاع.
- اهل جبران. آل جبران في عدة مناطق.
- اهل سمنة. آل سمنة في فلسطين ولبنان.
- الأدنَش. الدنادشة عشيرة في الهرمل.

– اهل فضل. آل الفضل في الجنوب.

– المراقشة. آل مرقش في بيروت.

– اهل عنّان. آل عنّان في برج البراجنة، والعناني في فلسطين.

– اهل طميش. آل طاميش في بيروت، ودير طاميش في المتن.

– اهل قطيش. آل قطيش في بنت جبيل.

– اهل مرقودي. آل مرقدي في الجبل ومرقدية.

– اهل با جميل. وادي بو جميل في بيروت.

قرى وعشائر دثينة

من مدنها وقراها: جبلة، وادي مُران (وجبل مُران في وادي سروم) في منطقة صعدة شمال صنعاء. ويورد البطرك الدويهي في تاريخه ان مار مارون السرومي كان زعيم الموارنة بداية القرن الثامن.

ومن عشائرها:

– بنو حباب. كفر حباب في كسروان.

– مخزوم. آل مخزوم في الخيام.

– اهل قنان. دير قانون النهر في الجنوب. قنان شرق صيدا.

– مسرّة. آل مسرّه في بيروت.

– تنوخ. الأمراء التنوخيين كانوا ولاة جباية لدى العثمانيين في الجبل.

– شقير. آل شقير في الشوف وضواحي بيروت.

– بني غانم. آل غانم في عدة مناطق.

– اهل شعيث. شعث في الجنوب. وآل شعيتو كذلك.

– اهل جعرة. آل جعارة في كسروان.

– الظاهر. من قبائل العوذلي. آل الظاهر في الشمال.

– تلحك. آل تلحوق في عاليه.

قرى وعشائر العوالق

من مدنها وقراها: أحور، حسن، بلعيد (بني العيد)، وادي همّام، عار، مسلّم، مقبلة، الجابية. ومن عشائرها:

– اهل باكازم. آل كزما في الشياح.

– اهل عسيلة. آل العسيلي في بيروت.

- اهل مظلوم. آل مظلوم في عدة مناطق.
- اهل شمعة. آل الشمعة وشماع وشماعة في عدة مناطق.
- اهل لهمج. إهمج في جبيل.
- اهل النعاس. آل نعُّوس في بيروت.
- الخنافر. خنفور في فلسطين، آل خنافر في الجنوب.
- اهل طيبة. الطيبة في الجنوب. وآل الطيبي في فلسطين وبيروت والجنوب.
- با فياض. ابو فياض في عدة مناطق.
- اهل شيخة. آل الشيخة في بيروت وكفرشوبا.
- اهل عزور. عزور شرق صيدا. آل العازوري في الجبل.
- اهل الحافي. آل الحافي في بيروت والجبل.
- اهل ثابت. آل ثابت من عائلات بيروت الأساسية.
- ربيز. آل ربيز من عائلات راس بيروت الأساسية.
- مرازيق. آل مرزوق في بيروت.
- اهل إمدقة. آل المدقَّة في بيروت.
- اهل باعيون. آل بعيون في بيروت.

- اهل يماني. آل اليماني في فلسطين وبيروت.
- اهل لفروخ. آل فروخ في بيروت وكفرشوبا.

قرى وعشائر بيحان والواحدي

من المدن والقرى: عسيلان، بير جونية، الزرير، (أحمر زرير قرية لبنانية)، ومن اشهر معالم بيحان جبال الملح المعروفة باسم الأياديم (وهو لفظ عبري)، وفي جبال الملح وديان تحتوي الملح الطبيعي. وفي الواحدي: بالحاف (بنو الحاف)، ريحون (لفظ سرياني لريحان)، حورة السفلى، جبل العناب (عين عنوب، عنبان، عنبال)، بن عبيه، المنصورة، با عرام (بوعرّام) عزّان، مكسأة (مكسي في البقاع)، حصون يعقوب، وادي سلمون (لفظ سرياني لسلمان؛ وآل سلمون في جونيه، وخربة سلمون في فلسطين)، الحجلة، سبلة (بني سبال – سبلين)، الجرّه، العين، قرن با محرز، البقيلي، النبوة، الصفا، وادي عمّاقين، مطرح آل عون، بنو الجاهل، ريمة، الروضة، بريرة، رحبة، حاتم، سر، مطرح بن حنش، جردان، الغبيرة، النحال (نحلة قرية ونحال عائلة وبنحليه قرية) كريث عميق، الباردة، رأس الكلب، حبّان، ريدة الدين (في لبنان: بيت الدين، بيت الدين اللقش، بقادين، بقاق الدين، راش دين، وعائلات: علم الدين، غرز الدين، سري الدين، زهر الدين)، وفي مدينة الروضة عشائر: آل جنيد، آل بن إسرائيل، النجّار (وليس لوجود آل بن إسرائيل في فلسطين).

ومن عشائر المنطقتين:

– اهل شريم. آل شريم في حومين شرق صيدا والبقاع.

– اهل نعيمي. آل نعيمي في البترون والجبل.

– اهل غنام. آل ابو غنام في الشوف.

– الكعدان. آل الكعدي في رياق وزحلة.

– الريس. آل الريس في بيروت والجبل.

– آل بلعقل. آل ابو عقل في المتن واقليم الخروب.

– آل بن الروس. آل ابو الروس في الجبل.

– آل النور. آل عبد النور في دير القمر.

– الشبير. آل شبير في حارة حريك وعانوت.

– شرفان. آل شرفان في كسروان.

– آل التومة. آل توما في البقاع والجبل.

– بارعيدي. آل الرعيدي في كسروان.

– مطلق. آل مطلق في الجبل.

– حبتور. آل حبيتر في بيروت.

– آل بو إسحق وآل أسود في الكورة العليا والسفلى. (اسحق، أسود، عائلات لبنانية، الكورة شمال لبنان).

– آل بالميه. الميه وميه شرق صيدا.

– بنو هلال ومنهم خليفة وحردان. والأسماء الثلاثة تتكرر في عائلات لبنانية.

قرى وعشائر حضرموت

من قراها ومدنها: مريمة، غرفة (غريفة)، حوطة، غيل بن يمين، ومن عشائرها:

– بني مرّة ومنهم بنوا العريان، داغر، همّام، حنش.

– بني حريز. آل حريز في الجبل.

– آل الدين. راجع ما سبق ذكره.

– آل شملان. شملان في عاليه.

– الحلبي وشملان وصقر من عشائر الجعدة. (شملان في عاليه).

– آل غراب وحصونهم حول مرفأ قانا (قانا في الجنوب).

– آل شمسان من المحديين. ديك المحدي في كسروان.

– آل بن عفيش. آل عفيش في الجبل.

– آل منياري. منيارة في الشمال.

– آل شدياق وغانم وبركات من عشائر بني كازم.

– بدر، ثابت، شعر، هديان، بلهمز من العشائر النهدية. وكذلك: عزُّون، عبرا، طاهر، نجَّار، حكمان.

– ومن آل نوح. نوح الحنكة (في التوراة ان النبي نوح اولد حنوك وكان يبني مدينة فسماها باسمه) ومنهم: سويد، سباعي، دبين، الشافي، مقبل، ناجي.

– بنو معشر. ابو معشر في كسروان.

– بيت يمين. آل يمين في الشمال.

– بيت صوفي. آل الصوفي في طرابلس.

– بيت زيدان. آل زيدان في شمال فلسطين وصيدا والجبل وبيروت.

– آل بلغيث. آل الغيث في عدة مناطق.

– الكسابيب. آل كسَّاب في الجنوب والجبل.

– علامي. آل علامه في بيروت والجبل.

– آل حبيش. آل حبيش في بيروت والجبل.

– بلشديق. (اي بنو الشديق)، آل الشدياق في البقاع والاشرفية والجبل.

– سمحي. آل سماحة في المتن.

– السباعي. آل السباعي في برج البراجنة.

اما من قبائل المهرة وسقطرة الحاضرة:

– بيت كلشات. آل كلش في صيدا.

– دكيشين. آل دكَّاش من اهالي حارة حريك الأساسيين.

– قمر. آل قمر في عدة مناطق.

– زيلع. آل زيلع في طرابلس.

– بردوين. آل بردويل في فلسطين وبيروت.

– اللوزي. آل اللوزي في طرابلس.

– آل ذي حسان. منهم ذو ثابت، دحداح، صنبر، تنوخ بن ثابت، السبكيون.

واذا رجعنا إلى الجزء الثامن من كتاب «الإكليل» للمؤرخ اليمني الهمداني، لوجدنا عينة من الأنساب اليمنية القديمة المتكررة في الأسماء اللبنانية. ومنها سمعان بن زيد الذي اولد الغوث، وسمعان هو إسم القديس بطرس الأساسي، كما ان سد المطران يدل على عشيرة او منطقة، فيما البون والبرط والدين اسماء لعدة مناطق يمنية تحولت إلى عائلات وعشائر لبنانية (البرط، بارتي، براتيه، البون، علم الدين، غرز الدين، سري الدين، بيت الدين، بيت الدين اللقش، بقادين، راش دين). والطريف ان الذاكرة الشعبية قد افتقدت معنى

من معاني كلمة الدين، الا وهو الشكل، الهيئة، وهو معنىً من عشرة معانٍ ترد في القواميس العربية. لذلك فالاسماء اللبنانية تعود إلى عشيرة الدين وإلى ريدة الدين اليمنية، وبالتالي فإن عبارات «ينصر دينوه، يحرز دينوه، يا دينوه ما أحلاه»، فانما تخاطب الشكل - الهيئة وليس الدين المعتقد كما هو سائد حالياً.

ويورد الهمداني الانساب التالية:

- من اولاد سبأ الاصغر كنيعا بن معاوية. آل كنيعو في بيروت.
- صدِّي بن يعفر بن مرة بن سبأ الأصغر. آل اليعفوري في بيروت والصدِّي في زحلة.
- يحي بن نوفل الحميري. آل نوفل في بيروت.
- الحطبان من آل فياض بن زرعة بن سبأ الأصغر. آل حطب وحطاب في بيروت وفلسطين.
- هشوع باني عمران. والهاء في اليمنية القديمة (احدى اللهجات كما العبرية مبدلة عن الهمزة وبالتالي اشوع - يشوع. فمزرعة يشوع قرية في المتن وآل اشُّوع في الجبل.
- بني النياح من اولاد شريح بن الصدف. نيحا وجبل نيحا ونيحا دمدوم قرى ومناطق، فيما كنيسة النيّاح ظل لعشيرة النياح في لبنان.

- بنو معاد. ومسجد معاد في صنعاء، ومعاد قرية في الكورة.
- ومن همدان قعفر بن شاور. قعفراني عائلة لبنانية في الجنوب والبقاع، وقاع عفرين في البقاع وسوريا.
- الرياشي من قبائل حِمير اصحاب الخط الحميري المعروف بالمسندي. آل الرياشي في زحلة.

ومن عشائر خولان القديمة: اسحاق بن سعد، وشبل بن غالب، وبني جمرة، وجون بن رشوان، وبنو شحمان وشاوي وحنش ومصبح وكبي وصائغ وعون وشعران.

ومن عشائر خولان الحالية حول صنعاء: شوابة، شوبان، شوكان، سمهان، الضيقة، بريرة، الرويشان، الصوفي، نصر، بيت الجاهلي، علي الطاهر، سالم، صيَّاد، المنصوري، غادر، دحروج، بنوحي. وجميعها اسماء قرى وعائلات لبنانية.

عائلات لبنانية من العشائر الأردنية الحاضرة

اول ما يصادف الخارج من الجزيرة ومن جنوبها خاصة، المناطق الزراعية الفلسطينية الأردنية. فإذا كان عربياً (بمعنى بدوي متنقل)، فإن البادية تمتد حتى شمال سوريا والعراق، وإذا كان نبطياً (نبتياً)، فإما ان يتبدّى، اي يتحول إلى البداوة، واما يستقر في الرقع الزراعية

والصالحة للزراعة كمحطة اولى، قبل ان يزاحمه قادم آخر عليها. ولذلك فإن العديد من بطون العشائر الأردنية انتقل إلى جبال لبنان وسواحله لأسباب شتى (جور الولاة، الصراع داخل القبيلة، جلاء المهزوم، جور الطبيعة). وإنتقال البطون او الحمائل او العائلات، كان من اليسر بدرجة ان الأراضي اساساً لم تكن ملكية فردية، بل كانت ملك للخليفة، وهو عين المبدأ القبلي: الماء والكلأ والنار ملك للقبيلة. ولم تعرف مناطقنا الملكية الفردية القابلة للتوريث والبيع والانتقال إلا منتصف القرن الماضي، حين فرضت البنوك الدائنة على الدولة العثمانية اصدار قانون الطابو. وهو تمليك كل من فلح ارضاً خلال ٧ - ١٠ سنوات شرط ان يدفع رسوم التسجيل. لذلك لم تكن الأرض مشكلة امام الذي ينتقل من ولاية إلى اخرى. وبما ان التدين كان بمستوى التدين الشعبي التاريخي، فإن القادم احياناً كان يبدل معتقده الديني ببساطة، والأمثلة كثيرة. (الشخاترة سُنَّة في الأردن، كاثوليك في صيدا، موارنة في الاشرفية. آل داغر، سنة في اليمن، شيعة في النبطية، موارنة في المروج، بروتستانت في الرميلة ومجدليون، مهنا.... الخ). ومن العائلات اللبنانية المنحدرة من العشائر الأردنية هذه العينات:

من عشائر بني صخر

وهي عشائر كبرى وسط الأردن، تتوزع إلى مجموعات: الطوقة، الكعابنة، خضير. وكل واحدة تنقسم إلى بطون، منها:

- الطوقه. طوقان في نابلس، طوق في اهدن.
- الكنيعان. كنيعو في بيروت، وكنعان في عدة مناطق.
- القعدان. قعدان في شبعا جنوب لبنان.
- الفاعور. فاعور في الخيام وحاصبيا.
- النوفل. نوفل في بيروت والجبل.
- السطول. سطل في بيروت.
- الزيدان. زيدان في عدة مناطق لبنانية.
- الرجيلات. ابو رجيلي في مرجعيون والبقاع.
- العميرات. عميرة في الاشرفية.
- اللبابدة. اللبابيدي في بيروت. ابو لبدة في فلسطين.
- الخرشان. وهم فرع من الصخور منه الوزان. خريش في جنوب لبنان، والوزان في بيروت وكذلك وازن.
- الجودة. من عشائر جبور بني صخر. ابو جودة في المتن.

من عشائر الحويطات

تتكون عشائر الحويطات من عدة اقسام منها: المطالقة، الفريجات، النعيمات. مع فروع عدة:

- الحويطات. آل حوّاط في المتن وكسروان.
- النعيمات. نعيمة في كسروان.
- الصواونة. صوان وابو صوان في كسروان.
- المشاعلة. مشعلاني في بيروت والمريجات.
- الصليبيين. الصليبي في شملان وقصر نبه.
- الوكدة. واكد في حارة حريك، وهم من اهلها الأصليين الذين جارت عليهم الحرب الأهلية في طورها الطوائفي الأخير فهجروا منها. وكذلك واكد في كامد اللوز.
- الملاعبة. ملاعب في بيصور.
- القلاعية. القلاعي في كسروان والبترون.

من عشائر الأحيوات

تتوزع الأحيوات إلى عشائر عدة منها:

- الطفيلة. الطفيلي في الجنوب والبقاع.
- الهلالات. هلال في الجنوب كما الهلالية.
- الزريقات. زريق في فلسطين ودمشق وقرية شحور.
- السواريس. ساريس في الجنوب.

- الغطيمات. الغطمة في عانوت الشوف، والغطيمي في الجنوب.
- العجارمة. عجرم وابو عجرم في الجبل والبقاع.
- الفراهيد. فرهود في جديدة مرجعيون.
- الزغايبة. زغيب في عدة مناطق لبنانية.
- القراقرة. قراقيرة في بيروت.
- الرعود. رعد في عدة مناطق لبنانية.
- البوايزة. بويزية وبويز في فلسطين، بويز في كسروان.
- الطباشات. الطبش في بيروت. طبّوش في طرابلس.
- البلعان. بلعة في بيروت.
- الفحامين. فحام في بيروت.
- القرارعة. قرعة في زحلة.
- القليلات. قليلات في بيروت.
- آل ابو ديَّة. ابو ديَّة في بعلبك وكسروان.
- العليانيين. عليان في بيروت والجنوب.
- الشواهين. شاهين في عدة مناطق لبنانية.
- الحوايلة. حويلي في مرجعيون.

– عيال مقبل. مقبل في المتن.

– القطيشات. قطيش في بنت جبيل.

من عشائر بني خالد والسردية والسرحان

وهي عشائر متمركزة شمال الأردن ومنها:

– العظامات من عشائر بني خالد. عظّام في بيروت.

– الخزام. ابو خزام في الشوف.

– الدلعة. دلّاعة في صيدا.

– الحرافشة. حرفوش في بكاسين قضاء جزين وبعلبك وشحيم.

– الفروخ من عشائر السردية. فروخ في بيروت وكفرشوبا.

– البرّي. بري في جنوب لبنان.

من عشائر اهل الجبل

وهي عشائر المساعيد والشرفات والعظامات، ومنها:

– المساعيد. مسعد في مرجعيون.

– السرور وهم من فخذ العصافير. سرور في عدة مناطق.

– العريان. العريان في راشيا الوادي والقدس.

– الفراج. ابو فراج في الشوف.

– العويد من عشائر الشرفات. عويد في طرابلس.

– الشرفات. شرف في عدة مناطق.

– الرياشي. رياشي في زحلة.

– الشكر. شكر في منطقة بعلبك.

– الربعة. الربعة في بيروت.

– البدران. بدران في عدة مناطق لبنانية.

من عشيرة العيسى

– النويران. النويري في بيروت.

– الدخيل. دخيل في ضاحية بيروت.

– الحريز. حريز في الشوف.

من عشائر الكرك

– الجراجرة. جرجورة في زحلة وشرق صيدا.

– الكركيين. كركي في جباع.

– الصعوب. الصعبة في الجنوب. صعب في عدة مناطق.

– الجعافرة. الجعافرة عشائر في بعلبك.

– القروم. قرم في بيروت.

– البقاعيين. البقاعي في ابل السقي وفي البقاع وسوريا.

– الشلالحة. الشلاح في بيروت، وشلحة في بعلبك.

– العُقيلات. عقيل في ضاحية بيروت وبعلبك، والعقلة في البقاع الاوسط والغربي.

– الجبيلات وهم من بني عطية. الجبيلي في بيروت.

– العطاطرة. العطار في بيروت ودمشق، والعتر في بيروت.

– البصيصات. بصبوص في داريا والجبل والبترون.

– القرالله. قرالي في بيروت وحمص.

– الخريسات. خريس في مدينة الخيام.

– الشعّار. الشعّار في بيروت ودمشق، وشعراني في طرابلس.

– الجعارات. جعارة في كسروان.

من عشائر بني حسن

وهي من العشائر الأردنية الكبيرة، ومن فروعها: الهليّلْ والثبته.

– الهليّل. هليل من اهالي حارة حريك الاصليين.

– الثبته. ثابت في بيروت.

– الخزاعلة. خزعل في كفرشوبا.

– العموش. عماش وعميش في بيروت والجبل.

– الفليحان. فليحان في مدينة رياق البقاعية.

– الفرهود. فرهود في مرجعيون.

من عشائر البلقاء

– الحلّاقيون. حلّاق في بيروت وصيدا.

– الخواطرة. ابو خاطر في زحلة. خاطر في الجبل.

– الشخاترة وهم من عشائر الشواكرة التي ينتمي اليها القليلات، السعيدات، العساف، العبيد، السيوف. شختورة في صيدا وفي الاشرفية.

– الشواكرة. شاكر في عدة مناطق.

– السعيدات. سعيد في جبيل.

– العساف. عسّاف في الجبل.

– السيوف. سيف في كسروان، السيوفي في الأشرفية.

– الجواميس. جاموس في البقاع والجبل.

من عشائر العجارمة

- الشهوان. شهوان في المروج.
- الدروبي. دروبي في كفرحمام.
- العرمان. عرم وابو عرام وعرمان في عدة مناطق.
- العفيشات. عفيش في كسروان.

من عشائر بني حميدة

- المغامس. مغامس في كسروان.
- الخطاب. خطّاب في بيروت.
- الحواجرة. الحجيري في بعلبك.

من عشائر الشوبك

- الشقيرات. شقير وأشقر في عدة مناطق.
- عيساوي. عيساوي في كسروان.
- الشعيبات. شعيب في الجنوب والمتن.

من عشائر عجلون

- بنو مقداد. مقداد في لاسا ومنطقة بعلبك.
- زعرور. زعرور في كسروان.

- المومنية. مومنة في بيروت.
- المياس. مياسي في بيروت.
- الحوري. حوري - حورية في بيروت.
- الغزاوي. غزاوي في صيدا وبيروت والبقاع.
- بنو مفرج، وهم في ناحية الكـورة في الأردن. مفرج في جبل لبنان.
- الحمامصي. الحمصي في عدة مناطق وحميصي كذلك.
- الدهون. دهان في بيروت وفلسطين.
- الكساسبة. كسّاب في عدة مناطق.
- الفلاحات. فلّاح في بيروت.

من عشائر السلط

ومن فروعها: العواملة، الخرابشة، القطيشات. ومن بطونهم:

- الفواخرة وهي من القطيشات. فاخوري في زحلة وبيروت.
- الدبابنة. دبّانة في بيروت.
- العوايشة. العيّاش في عدة مناطق.

من عشائر العدوان

- السكر. سكر في جبل لبنان.

– عرابي. عرابي في زحلة وقب إلياس.

– اللوزيين. اللوزي في طرابلس.

من عشائر عبّاد

وتتكون من عبّاد الشمال والجنوب، ويفصلهما سيل وادي شعيب ومنهم:

– الياصجيين. اليازجي في جبل لبنان.

– العيد. عيد في عدة مناطق. العيد في الشوف.

– الصيّاح. صيّاح في كسروان.

– المسلّم. مسلّم في كسروان.

– الظواهرة. الظاهر في عدة مناطق.

– الشدايدة. شديد في كفرشوبا ومرجعيون وزحلة.

– الكعادين. كعدي في رياق.

من عشائر معان

– الهوّارين. الهواري في صيدا والمنصورة البقاعية.

– جرّار. جرار في كفرشوبا.

– البزايعة. بزيع في زبقين الجنوبية.

من عشائر بني حميدة في لواء الطفيلة

– ابودَيْ. ابو ديّه في بعلبك وكسروان.

– الشتيّات. اشتي في الشوف والبقاع الشرقي.

– البداينة. بدين في المتن.

– شريتح. شريتح في صيدا وبعلبك.

من عشائر بني كتّانة في إربد

– الغزالات. الغزال في قب إلياس وزغرتا وبيروت.

– الملاعبة. ملاعب في الشوف.

– السخني. السخن في بيروت.

– الضامن. ضامن في الشياح.

– الخلوف. خلف – خلّوف في كسروان.

– كتّانة. كتّانة في الأشرفية.

هذا موجز للمتشابه بين اسماء العشائر الأردنية وبطونها (راجع كتاب «مقدمة لدراسة العشائر الأردنية»، احمد عويدي العبّادي)، وبين بعض العائلات اللبنانية المنتزعة من الذاكرة، والذي يؤكد الحراك السكاني التاريخي المساهم في تكوين العشائر اللبنانية.

والآن ننتقل إلى اسماء القرى والخرب الفلسطينية، التي تحولت عبر التاريخ وقبل ١٩٤٨ عام انشاء الدولة الصهيونية، والتي انتقلت عائلات منها إلى لبنان. وهذه الخرب الفلسطينية البالغ عددها حوالي ١٧٠٠ قرية صغيرة خرِّبت بسبب عوامل شتى، تحول معظم اهاليها إلى لبنان وكوّنوا قرى جديدة بالإسم نفسه احياناً، علماً اننا هنا لن نكرر القرى الفلسطينية - اللبنانية ذات الإسم الواحد، والذي ضمَّناه كتابنا «معجم معاني واصول اسماء المدن والقرى الفلسطينية».

عائلات لبنانية من القرى والخرب الفلسطينية

نورد اولاً العائلات المنتمية إلى القرى الفلسطينية المتحولة إلى لبنان.

- ابو سنان في منطقة عكا. سنان في بيروت.
- ابو غوش في القدس. الغوش في برجا.
- ابو الفضل في الرملة. الفضل في الجنوب، ابو فاضل في عاليه.
- ابو قش في رام الله. القش في زحلة.
- ارطاس في القدس. قرطاس في البقاع.
- إم جوني في طبرية.الجوني في الجنوب.
- إم عجرة في الجليل. عجّور في حارة حريك.
- إم العلق في حيفا. علّيق في بعلبك.

- إم العمد في حيفا. العمد - العماد في الجبل.
- إم الفرج في عكا. فرج في صور ومشغرة.
- إم هريرة في نابلس. هرير في الجبل.
- بُدير في غزة. بدير في بيروت.
- بربرة في غزة. بربر في بيروت.
- البريَّة في الرملة. بريّه في كفرشوبا.
- بزَّارية في نابلس. البزري في صيدا.
- البعنه، البُعينة في عكا والناصرة. البعيني في الشوف وكسروان.
- البلاونة في حيفا. بلّان في كسروان.
- بورين، البويرة في نابلس. بواري في الأشرفية.
- البويزية في صفد. بويز في كسروان.
- بيت ام الميس في القدس. الميس في البقاع الغربي.
- بيت دقُّو في القدس. دقَّاق في بيروت.
- بيت عنَّان في القدس. عنَّان في برج البراجنة.
- بيت فار في الخليل.خربة قنافار في البقاع. الفار في بيروت.
- بيت وزن. وزنة في الجنوب.
- الجاروشة في طولكرم. جاروش في السلطان يعقوب في البقاع الأوسط.

- الجالولد في بيسان ونابلس. جلَّاد في بيروت.
- جبع – جبعة – جبعيت. في الخليل ونابلس وجنين. جباعي في الجنوب.
- جعارة في حيفا. جعارة في كسروان.
- حبلة في طولكرم. حبلي في صيدا. حبَّال في بيروت.
- حجلة في أريحا. حجلي في كفرشوبا.
- حرفيش في صفد. حرفوش في عدة مناطق.
- حليقات في الخليل. حليق في الشوف.
- حورانية في الجليل. حوراني في الجنوب.
- خرُّوبه في الرملة. خرُّوبي في الجنوب.
- دلَّاته في صفد. دالاتي في بيروت.
- دندن في بيسان. دندن في بيروت.
- دير ابو ضعيف في جنين. الضعيف في الجبل.
- دير ابو مشعل في رام الله. مشعلاني في بيروت.
- دير الدبَّان في الخليل. دبَّانة في كسروان.
- دير نظام في رام الله. نظام في كفردونين.
- دير الهوى في القدس. الهوى في جونية.
- الريحانية – الريحية. ريحانا – روحانا في الجبل وسطاً وشمالاً.

- الزاوية في نابلس وجنين. زويَّا في صيدا.
- زمَّارين في حيفا. زمَّار في كسروان وطرابلس.
- الساخنة في بيسان. السخن في بيروت.
- ساقية في يافا. سقَّايا في بيروت.
- سبلان في صفد. السبليني في بعلبك وطرابلس.
- سلوان في القدس. سلوان في كسروان.
- شويكة في طولكرم وصفد. شوكيني في النبطية.
- صبَّارين في حيفا. صبرا في برج البراجنة وبيروت.
- صُميل في غزة. الصميلي في البقاع الغربي.
- عكَّا. عكَّاوي في مرجعيون وبيروت.
- فرعون في طولكرم.فرعون في بيروت.
- قرعان في يافا. قرعة في زحلة.
- كبارة في حيفا. كبَّارة في طرابلس.
- كفر الديك في نابلس. الديك في بيروت.
- كفر سابا في طولكرم. سابا في الكورة.
- كفر عبوش في طولكرم. عبُّوشي في الجبل.
- كمُّوني في نابلس. كمُّوني في الشياح.

- المرّ في يافا. المر في المتن.
- ناعورة في الناصرة. ناعورة في بيروت.
- النقيب في طبرية. النقيب في صيدا.

من الخرب الفلسطينية

- ابن عوّاد. عوّاد في عدة مناطق لبنانية.
- ابو رزق. بين غزة والخليل. ابو رزق في الجبل.
- ابو زعرور في القدس. زعرور في الجبل.
- ابو سمارة. سمارة في مرجعيون.
- ابو صَوّان في القدس. ابو صوّان في المتن.
- ابو عزّة في القدس. ابو عزّة في المتن.
- ابو عرّام قرب الخليل. ابو عرّام في الشوف.
- ابو غيث بين غزة والخليل. غيث في جبيل.
- ابو مسرّة في القدس. مسرّة في بيروت.
- ابو مسلّم في الخليل. مسلّم في كسروان.
- ارطبة بين نابلس واللد. ارطباوي في الجبل.
- ام سلمونة في القدس. سلمون في كسروان.
- باسيلا في الكرمل. باسيلا في دير ميماس.

- بيلون في الكرمل. بيلون في الشياح.
- بزّة في السهل الساحلي. بزي في بنت جبيل.
- بيت يمين بين نابلس ورام الله. يمين في الشمال.
- البلهوان في الخليل. بلهوان في بيروت.
- بورين في طولكرم. البواري في الاشرفية.
- البويزية في رام الله. بويز في كسروان.
- بيت سكّارية في القدس. سكّارية في بعلبك.
- بيت شباب في القدس. مدينة بيت شباب في كسروان. الشب في صيدا.
- بيت شعار في الخليل. بيت الشعّار قرية في كسروان.
- بيت عوّا في الخليل. عوّا في بيروت.
- تنّر في الخليل. تنّير في بيروت.
- التواني في الخليل. التويني في بيروت.
- الجبارات في الخليل. جبارة في مرجعيون.
- جعيتيني – جعتون. جعيط في كسروان.
- جورة الشمعة. الشمعة في الشوف، الشماع في صيدا.
- الحاج رحّال. رحال في الغبيري ورياق وعدة مناطق.

- الحافي في القدس. الحافي في صيدا.
- مُحبيق في القدس. حبيقة في المتن.
- الحجّار في صفد. حجّار في عدة مناطق.
- الحديبة في البحر الميت. حديب في بيروت.
- الحرذان في القدس. حردان في بيروت.
- حزور بين طبرية والقدس. حزوري في الجبل.
- حلّابة في القدس. حلّاب في طرابلس.
- حصّة في حيفا. الحص في بيروت.
- حكيمية في وادي بيسان. حكيمي في الجبل.
- حمصين في عكا. حميصي في بيروت.
- خريش في طولكرم. خريش في الجنوب.
- خلة السمك في القدس. السمّاك في بيروت.
- الداعوق في عكا. الداعوق في بيروت.
- الدكاكين. دكة في جنين والقدس. دكاك في الغبيري.
- دير داقر في الخليل. الدقر في بيروت.
- ديري في القدس. الديري في المتن.
- رأس الطويل في القدس. الطويل في بيروت.

- راشانية جنوب نابلس. الريشاني في عدة مناطق.
- ربّة في الخليل. ربابي في زحلة.
- الرز - الرزّازة في الخليل وطولكرم. الرز في الجنوب.
- الزعتر في القدس. الزعاترة في بعلبك.
- زمارة - زمّار في يافا والخليل. زمّار في كسروان وطرابلس.
- زيدان في الخليل. زيدان في عدة مناطق.
- سرسق في بيسان. سرسق في بيروت.
- السروج في جنين وعكا. السروجي في بيروت.
- سطي - سطا. بين نابلس ورام الله. ساطي في المتن.
- سلهب في نابلس. سلهب في زحلة ومناطق اخرى.
- سيلون في نابلس. سلوان في كسروان.
- الشريم في طولكرم. شريم في شرق صيدا.
- الشلال - شلالة بين رام الله والقدس. شلالا في المتن.
- شيحا في الكرمل. شيحا في بيروت.
- الصوفي في بئر السبع. الصوفي في طرابلس.
- صياد في طولكرم. صيّاد في بيروت.
- العتر في جبال الخليل. العتر في بيروت.

- عسلة. العسلية في طولكرم وصفد. عسلي - عسيلي في بيروت.
- العشّي في القدس. العشي في كسروان.
- غيّاضة في السهل الساحلي. غيّاضة في شبعا.
- القدح في الحولة. قديح وقدوح في تبنين والنبطية.
- قديش في طبريا. قاديشا في عانوت.
- قرحاتا في الجليل. القارح في جب جنين وزغرتا.
- قرقرة في الخليل. قراقيرة في بيروت.
- قرقف في طولكرم. قرقفي في الغابات - جبيل.
- قصب في الخليل. قصب في صيدا وكفرشوبا.
- القط في القدس. قطيط في مرجعيون.
- قلقس في الخليل. قلقاس في الجنوب.
- قمحة في الخليل. قميحة في النبطية.
- قوسية في جنين. القوسي في كفرشوبا.
- كفرراسي في القدس. الراسي في زحلة وابل السقي.
- مريش في الخليل. مروش في بيروت.
- مزارعة - المزرعة في نابلس ورام الله. مزرعاني في الجنوب.
- الملّاط في السهل الساحلي. ملّاط في الجبل.

- نبهان في القدس. نبهان في بيروت.
- النزلة في حيفا. نزّال في الجنوب.
- الهبور غربي الخليل. الهبر في بيروت.
- وادي ادريس في القدس. ادريس في بيروت.
- الوزِّيه في الجليل. الوزِّي في بيروت.

نستنتج من هذا العرض، ان التكوين التاريخي للبنانيين كان تراكماً من عشائر المحيط، إذ قلَّما تجد عائلة لبنانية إلاّ ولها إسم مماثل في بلاد الشام. فإذا كانت بيروت تحتوي ٣٠٠٠ نسمة عام ١٦٠٠م او ما يسمى بالعائلات السبع، فإن تنشط مرفأها منذ ذلك الحين عاظم سكانها تدريجياً عبر فلسطين والمدن الساحلية الجنوبية. كما ان وجود خربة مران في القدس ومارون الراس وقرى مارونية جنوب لبنان وعائلات مارونية كانت ذات يوم في الأردن او في القرى الفلسطينية الخربة، يدل على ان عشائر الموارنة توزعت في بلاد الشام وقدمت من شمال سوريا ومن فلسطين والأردن، علماً انه قبل ١٩٢٠ وإلى بداية التاريخ لم يكن الإنتقال يحتاج إلى إذن.

الفصل الثالث
حكايات مار جريس ودلالاتها التاريخية

مار جريس، او مار جريس الخضر، بطل قديسٌ من ابطال أساطيرنا وحكاياتنا الشعبية، يقدم صورة المنقذ، منقذ الشعب او منقذ الأرض من الجفاف واليباس، تماماً كمدلول إسمه: الخضر. فماذا تقدم لنا اساطير مار جريس من دلالات تاريخية؟

للإجابة على هذا التساؤل، نستعرض أساطير مار جريس والتنين، كما وردت في الحكايات الفلسطينية اللبنانية المصرية اليمنية، ونقدم لذلك بالبحث لغوياً في إسم مار جريس.

المار كلمة ترد في اللهجة السريانية وفي لهجات عربية أخرى، وترد في القاموس العربي الجامع للهجات، ولا تعني القديس ابداً، لكنها في تلافيف الثقافة الشعبية وفي صناعة القديسين التي يحيكها الوجدان الشعبي، اعطي بعض رؤساء او مدبري العشائر صفة القداسة والتعظيم. لذلك نجد أن مدبر العشيرة او لفظة المار، ترتبط بأسماء

عشائر عدة مثال: (مار شينا، مار ماما، مار ادنا، إلياس، بطرس كرم التين، توما، جريس بحرذق، زخيا، سابا، سركيس، سمعان، شعيا، ضومط، متى، عبدا هرهريا، ليّا، ليشع، مخايل بنابيل، موسى الدوار، نهرا، يوحنا..). وبعض هذه الأسماء يرتبط بقديسٍ شعبي فيما البعض الآخر بات إسم عشيرة، قرية من قرانا اللبنانية، على سبيل المثال لا الحصر. وفي القاموس العربي، فإن مار من جذر مير. مار لِعياله أي جلب الطعام لهم، دبّره («لسان العرب»، ج ٥ ص ١٨٨). اي ان المار هو مدبر العشيرة او زعيمها الذي كان له قبل المسيحية والإسلام صفة التعظيم والتعبد غالباً، تماماً كما نجد اسماء قرى لبنانية ترتبط باسم النبي الذي يدل على الزعامة في العشائر وليس على نبوة مرسلة، مثال: (نبي كزبير، رشاده، ايلة، عثمان، شيت، حام، زعور، سابا، سباط، سميلة، شمليخ، صافي، يوشع، يوسف، ميش، يونس..). والنبي في اللغة، هو الأرفع، الأعلى، قبل ان يعطى مضمون النبي المرسل إسلامياً.

وقِدم أساطير مار جريس وتوزعها وشيوعها العالمي، نلاحظه في انتشار إسمه مع انتشار المسيحية عالميا منذ منتصف القرن الرابع الميلادي بعد تنصر الدولة الرومانية. وهذا الشيوع للإسم يساهم في معرفة معناه. فمن الفاظ إسم مار جريس عربياً: جرجس، وجرجيس، وجُرج، وغربياً: جورج، وجاورجيوس، وجورجي (بلفظ الجيم مصرياً)، وجوركي في شرق اوروبا بابدال الجيم الثانية إلى كاف، تماماً كما تلفظ البوادي العربية (أشيلك - أشيلج) وكما تتبدل القاف

إلى كاف وجيم بلفظة مصرية - بدوية (قال، كمال، غال)، ولفظ كدس - غدس مثلاً. واعتقد ان لفظة جرج هي نفسها كرك (كرك نوح - كرك الأردن - باكركي)، وعشيرة كركي تلفظ ايضاً الكركان جمعاً، ومنها كركلا بابدال النون لاماً، تماماً كما بدلت اللهجات: سرحان وسماعين إلى سرحال وإسماعيل. وحتى الآن يلفظ إسم كركلا في بعلبك غرغلي. اما جريس وجرجيس وجرجس، فإن إبدال الياء جيماً وراد في اللهجات مثال: (ريّال - رجّال، بن يامين، بن جامين. واعتقد ان اساس الإسم اليمني: جرج مصغره جُريج. وما وضع السين في آخره سوى دلالة على لهجة السين اليمنية التي كانت تضيف السين في بعض الكلمات، مثال (إبنِه: إبنس، مقامه: مقهمس)، تماماً كما تبدل لفظ النبي يونان - اونان - ذو النون إلى يونس. ومن جرج - جرجس تطورت الفاظ الإسم. وفي القاموس العربي، وتحت جذر جرج نقرأ ما يلي: الجرج اي الجائل القلق. والجرجة: جادة الطريق. والجرج: الأرض ذات الحجارة. وجريج مصغر إسم رجل. (ص ٣٠٢ ج اول - صحاح الجوهري).

اما التنين الذي يرتبط مصرعه بمار جريس، فإنه في القاموس العربي من جذر تنن: «وهو ضرب من الحيّات من أعظمها كاكبر ما يكون منها. ويقال والله أعلم، ان دواب البحر يشكونه إلى الله تعالى فيرفعه عنها. قال ابو منصور: اخبرني شيخ من ثقاة الغزاة انه كان نازلاً على سيف بحر الشام، فنظر هو وجماعة أهل العسكر إلى

سحابة إنقسمت في البحر ثم ارتفعت. ونظرنا إلى ذنب التنين يضطرب في هيدب السحابة، وهبت بها الريح ونحن ننظر إليها إلى ان غابت السحابة عن ابصارنا. والتنين نجم، ولكنه بياض خفي يكون جسده في ستة بروج من السماء، وذنبه دقيق اسود فيه إلتواء، يكون في البرج السابع من رأسه.. وهو من النحوس». («لسان العرب» ص٧٤ ج ١٣). ولا تخلو هذه التفسيرات من العجب والتفسير الغيبي أمام فقدان العلم بالظواهر. فالتنين حية كبيرة، وهو في آنٍ حيوان بحري - الحوت حسب الوصف، وهو نجم. وجملة هذه المعاني اللغوية ذات أهمية في فكفكة الأسطورة التي سنسرد منها ثلاث: واحدة فلسطينية لبنانية تتركز أحداثها في محلة الخضر من شواطئ بيروت - الكرنتينا اليوم - والثانية مصرية عن رجل محدد في الزمان والمكان. والثالثة يمنيه رمزية محددة المكان غير محددة الزمان.

مار جريس الفلسطيني - اللبناني

سجلت الثقافة الشعبية حكاية مار جريس عبر غناء فلسطيني يسمى «السحجة»، وهو نوع من الزجل يتولى فيه الرجال إطلاق الغناء بيتاً بيتاً، فيما يردد الآخرون عبارة «يا حلالي ويا مالي». وفي عيد مار جريس وفي مزاراته تبدأ مراسم العيد الفرح بسرد الحكاية من خلال النص التالي:

أولْ ما نِبْدي نِمْدحْ بمار جريس سَيِّدنا

بُو جريس راح الحرب ومات وخلَّف لجريس حشرات

أو قام جريس هُوا وامُّو من مدينتهم وارتحلو

طاحوا بيروت أو نزلو فيها إبهم أو احزاني

فيها وحش ما كان عينيه تِقدح نيران

جمعوا بعضهم واعطوا لُهْ كل يوم غنمه او إنسان

راح الزمان اتتْ الأيام أتى دور الملك اللي قالْ

دَوركْ يا مِلِكْ دوركْ ما حدا خالف شورَكْ

قدِّم بنتَكْ تصطورَكْ قدمها للحيوان

قال يا من ياخذ مملكتي اوْ يعفي عني أو عن بنتي

دَورك يا ملك دَوركْ دورك الساعة دَوركْ

لبِّسْ بنتو لِبسْ إكليلْ وادموعو عا خدُّو إتْسيلْ

او طيِّخْ بنتو تتبدرج كل المداين تتفرَّج

في مرقةْ جريس الخيَّال الله يرزقنا وين ما كان

قلَّها ي صبيي مالِكْ اخبريني عن حالِكْ

قالت لهُ يا شبْ أهربْ ما فيكْ تحمي ولا تضْربْ

بَحزْ زيني ما تضْربْ رُحْ خليني في إمرادي

قال يا صبيي لا تْخافي إنتِ ابمكانِكْ اقفي

انا عن قتلو ما بِعْفي انا مار جريس النصراني

او حين شافُو غارْ عليه — او دَقْ الرُمحْ بين عينيه
زغرتَتْ الصبيَّة ذاك الحِينْ — اوجَبدِ السيف اَو قَتلِ التنينْ
او جابُولو سَبِعْ فداديِنْ — جرّينو اخلوف الحيطانْ
لَحمْ التنين يتدرج — ألوف الناس تِتْفرَّج
جاب النصارى او أمتهم — او تِسعْ ميت الفْ عَمَّدهُمْ

مع الإشارة للقارئ ان اللهجة الفلسطينية الشمالية تستعمل الهمز في اول الكلمة غالباً (أو جابوا اي وجابوا، أو تسع اي وتسع، اكفرشوبا، بدل كفرشوبا..)، فإن النص الغنائي واضح المعنى، في ان مار جريس جاء بيروت بعد مقتل والده مار جريس ايضاً، وانه على شواطئ بيروت كانت تقدم الأضحية اليومية للتنين من الحيوان او البشر، إلى ان جاء دور بنت الملك الذي صادف دورها مع مجئ مار جريس الخيّال، الذي عرّض نفسه للخطر وقتل التنين – اي الحوت البحري – وجرّه وراء جدران الازقة بواسطة (الفدادين) البقر. وعلى أثر ذلك تنصر مئات الألوف من أهالي بيروت.

ويظهر من هذه الحكاية الشعبية الغنائية التي جمعها د. عبد اللطيف البرغوتي في كتابه «الاغاني الشعبية العربية في فلسطين والأردن» الصادر عن جامعة النجاح في نابلس، حكاية فلسطينية عن أحداث في مدينة بيروت. ويظهر منها تسمية مار جريس باسم سيدنا. تماماً كسيدنا البطرك وسيدنا المطران. والمطران ظل لمدبر المطر

او إله المطر قديماً. وان مار جريس جاء بعد موت والده إلى بيروت، إنسجاماً مع القانون العشائري في جلاء الذي يخسر المعركة. في حين ان حكاية التنين الذي تقدم له يومياً اضحية، فهي إمتداد تاريخي لجزء من الثقافة الشعبية التاريخية، حيث الأضحية وسيلة تقرب من الآلهة محبةً او رهبةً. ويتضح ذلك في النذور واضحيات زجليات التوراة، وظلالها في تسمية المذبح الكنسي، وكون السيد المسيح قدم نفسه فداءً للانسان، او الإله قدم للنبي ابراهيم كبشاً فداءً لإبنه اسماعيل، وفي اضحيات المسلمين السنوية خلال موسم الحج، او عموماً تقدمة الأضحية وفاء لنذر كما نشاهد في ثنايا حياتنا اليومية، او اضحية عروس النيل التاريخية، او القوانين البابلية التي كانت تجبر الملوك على تقديم أنفسهم كأضحية كل خمس سنوات، والذين كانوا ينصّبون أحد المهابيل ملكاً قبل ثلاثة أيام ليضحى به نيابة عن الملك. والحكاية تقدم مار جريس فارساً مقداماً، تماماً كما تصوره الايقونات الكنسية ممتطياً جواداً ابيضاً وقد غرز رمحه في فم التنين الذي يأخذ شكل أفعى كبيرة متعددة الأرجل. والأهم ان مار جريس كان مسيحياً في حينه.

مار جريس المصري

اما مار جريس المصري، فله حكاية مختلفة تماماً يغيب عنها البعد الأسطوري، ومسألة الوحش والأضحية، وإن كانت كنائسه ومزاراته في مصر يقصدها المسيحيون والمسلمون في أعياد سنوية،

تنطلق منها أعمال العجائب في شفاء المرضى والعميان والطرشان تماماً كأعياد أسياد الصوفية، وما ينسج عنها من حكايات ومعجزات. وحكاية مار جريس في مصر نستقيها من كتاب «الموالد» للدكتور فاروق احمد مصطفى، وفيها: ان مار جريس (جورجيوس) ولد عام ٢٨٠م من أسرة مسيحية. وكان والده موظفاً كبيراً في الدولة الرومانية التي أعدمته بسبب إيمانه المسيحي. وفي السابعة عشر من عمره، التحق الشاب بالجيش الروماني، لكنه سجن بسبب تمزيقه المنشور الأمبراطوري الداعي لإضطهاد المسيحيين. وفي السجن حاول الرومان استمالة الشاب عبر احدى محظيات القصر، ولما فشل هذا الترغيب، امر الوالي بربط مار جريس بحصان جره في شوارع المدينة، مما ادى إلى سحله وقطع رأسه. وكان ذلك اول مايو - أيار عام ٣٠٣م، عن عمر يناهز الثلاث وعشرين عاماً.

في هذه الحكاية، اشارة لفرد بعينه في تاريخ محدد، قضى شهيداً دفاعاً عن معتقده، فيما المسحة الشعبية والكهنوتية تتضح في انه تخطى شرور الملذات عبر رفضه إحدى المحظيات. وفي حكاياتنا التي تزخر بها الثقافة الشعبية تركيز شديد على القدرة الخارقة لمسألة الجنس في قطبها البطولي المذكر الذي يتعفف، وقطبها الانثوي في إمرأة تمثل الشرور. ويمتد ذلك إلى ايامنا، حيث تختصر هزائم الأنظمة عبر جعل قائد عسكري او سياسي على علاقة بفنانة او سيدة معروفة، واعتبار ذلك كسبب من أسباب الهزيمة.

وإذا كان صحيحاً، ان بطولة مار جريس الشاب في مصر مبعث تقديس في الوجدان الشعبي، إلا ان هذا التقديس يمتزج مع القدسية التاريخية لمار جريس الذي صرع التنين.

مار جريس اليمني

اسطورة مار جريس اليمني الذي يلفظ جرجيس (بالجيم المصرية)، تختلف عن الحكايتين السابقتين، او تشكل مقدمة في الوجدان الشعبي للأسطورة اللبنانية - الفلسطينية، بإعتبار ان الشق الثاني من الأسطورة اليمنية، هو الصراع مع التنين وقتله. لكن الأسطورة اليمنية كما معظم الحكايات الشعبية اليمنية، ترتبط بالأرض التي تشكل محوراً هاماً في كل حكاية، كحكاية سحب ضابح (الذابح للسحب) الذي يخاطب الأرض ويفتديها بدماء أصابعه لتنبت الزرع، او حكاية الصبية والمارد الذي قتل شقيقها وقطّع جسده، ولكنه يعود من الأرض ليصرع المارد الجني. وهذه الحكاية يعتبرها الشاعر اليمني - الباحث - عبدالله البردوني كاسطورة مار جريس، التي يوردها في كتابه «فنون الآدب الشعبي»، من أن مار جرجيس تقدم لمصارعة التنين الذي يعيث فساداً في الأرض، والذي تقدم الأضاحي له لإرضائه. لكن مار جرجيس يقضي في هذا الصراع ويحترق بنيران التنين. واحتراق مار جرجيس وتناثر رماد جسده في الأرض، ينعكس في عودة خلقه من الأرض مجدداً ومصارعته للتنين عن ظهر فرسه والقضاء عليه.

هذه الاسطورة اليمنية، تتكامل فيها الأبعاد الأسطورية، بوجود التنين القوي، الذي يرمز جسده للأفعى الكبيرة التي تخرج في مواسم الصيف والقحط الشديد. ولسانه الذي يقذف النيران كوصفٍ مضاف للقحط والبراكين التي ساهمت في تخريب جنّات ومنجزات الحضارة والري في اليمن، فيما عودة مار جريس وغياب التنين، يرمز لغياب القحط والجفاف وعودة الخضرة للأرض.

العناصر والدلالات التاريخية في الأسطورة

إن كل اسطورة مهما غالت في الخيال، تبقى لها العناصر الواقعية، التي تأخذ بعداً رمزياً على مر الأزمان، يغيِّبُ العناصر الواقعية ويبقي الرمز. فالحجاب الذي تضعه العروس على وجهها، ويرفعه العريس في نهاية طقوس الزواج بيده او بواسطة عصاة او سيف او خنجر، رمز ذو دلالة تاريخية لن نجد تفسيره في مسألة القران، بقدر ما نجده في ما يعكس من ظلال الأم الأولى الإلهة، التي كانت في المشاعيات إلاهة قرينة للقمر الذي يتوازى غيابه وظهوره مع دورة الطمث الشهرية لدى المرأة، والتي كانت سيدة الحكمة تحمل الأفعى في يديها كما تصورها كافة الرسوم التاريخية. هذه الأفعى تحولت إلى صولجان الملوك والمطارنة والبطاركة، تظهر جلية في رأس الصولجان، او ينساب رأس الصولجان معكوفاً كرأس الأفعى. هذه الأم الأولى، كانت سيدة الشعلة والنور والموت (ليليت - ليليش - ليلى)، وسيدة الخصب التي يغنى لها في ثقافتنا الشعبية (أم الغيث)،

وسيدة الأسرار التي كانت تضع الحجاب على وجهها الذي نجد ظلاله في حجاب العروس، وهكذا في العديد من طقوس ثقافتنا الشعبية المعاشة او المندثرة. وفي الحكايات الثلاث لمار جريس، نسارع إلى إبعاد واقعية وتاريخية حكاية مار جريس المصري، لأنها حكاية واقعية كاملة، لفرد محدد، ممكنة الحدوث في كل زمان ومكان، وإن كان أضيف إليها بعداً اسطورياً في تحطيم مار جريس لمعبد الوثنية وهو في الأسر.

في حكاية مار جريس اللبناني - الفلسطيني عناصر واقعية، منها ان التنين على شواطئ بيروت - وفي محلة الخضر - ليس سوى حوت بحري اعطته الثقافة الشعبية البعد الاسطوري للتنين. وآخر حوتٍ قارب مدينة الإسكندرية كان عام ١٩٣٠، وقد تم اصطياده وايداعه المتحف البحري في الإسكندرية. فمار جريس هنا مدبر عشيرة جرج او كرك، إنتقل إلى بيروت، وتمكن من اصطياد حوت بحري كان يوقع الضحايا بين الصيادين والمتنقلين بحراً، المنعكسة في تقديم الأضحيات اليومية. اما حكاية ابنة الملك، فهي مسألة ممتدة في حكاياتنا الشعبية، في حين ان زمان الحدث هو بعد إنتشار المسيحية.

في الحكاية اليمنية، تغيب العناصر الواقعية تحت تلافيف الرموز. فالتنين (الأفعى الكبيرة التي تقذف النار من السنتها)، مسألة واقعية، باعتبار ان الأفاعي يمكن ان يكبر حجمها وتتكاثر في الأراضي

المقحطة. فالشق الأول من الحكاية قد يرمز إلى البركان وإنعكاسه المدمر، وتكاثر الأفاعي وحدوث المجاعات. في حين ان الشق الثاني بعودة مار جريس من الأرض، إنعكاس لعودة عشيرة مار جريس واصلاحها الأرض وتعميم اخضرارها. ولذلك سمي مار جريس الخضر. وخضر هي حيدر باللهجة السريانية.

والسؤال الذي يطرح ببساطة هو، لماذا أُطلق الإسم الواحد: مار جريس على ابطال الحكايات الثلاث؟ والجواب ببساطة، ان الحكايات الثلاث لها ابعادها الواقعية في أزمنة متعددة وبأفراد مختلفين، جامعهم الإسم – إسم العشيرة الذي يطلق على الفرد. وعين هذه الحقيقة نجدها في التوراة وفي ثقافتنا الشعبية. فشخصية النبي ابراهيم في زجليات التوراة ترتبط بأحداث وتاريخ عشيرة البراهين على مراحل زمنية متباعدة (البراهين مَن جذر بره، ومنها برهان. وبْراهين كما يلفظ في شمال سوريا ولبنان هو اللفظ للإسم الصحيح، في حين ان ابدال النون ميماً مسألة واردة في العبرية كدلالة للجمع وفي بعض لهجاتنا ايضاً). هذه المراحل تُلاحظ في تعدد عبادات واماكن تواجد وترحال عشيرة النبي ابراهيم، وقد تراكمت أخبار العشيرة في الذاكرة، ودونت باللهجة السريانية في القرن الرابع ميلادي، وبالعربية في السابع ميلادي، حيث اختصرت الشخصيات المتعددة للنبي إبرهيم – زعيم عشيرة ابراهيم – بشخصية واحدة. وهكذا حكاية قايين وهابين (قابيل وهابيل)، التي تكشف الرمز للصراع في العائلة

الواحدة، في حين انها ترمز إلى الصراع التاريخي – الجغرافي، او التناقض بين البداوة والحضر، حيث يلجأ الذين تقحط اراضيهم إلى التبدي والترحال وغزو الحضر والرعاة، الذين يمكنهم الإنتقال بقطعانهم سعياً وراء الماء والكلأ.

وفي حكايات مار جريس – مدبر عشيرة جرج او كرك – احداث متباعدة صادفتها العشيرة التي كان يسمى شيخها دائماً – مار جريس – مهما توالى على هذا المنصب من افراد، ومهما توزعت العشيرة إلى بطون وافخاذ هنا وهناك. واحداث هذه العشيرة وبطونها تظل مختزنة في الذاكرة الشعبية دون بعد زمني محدد، إلى عصر التدوين حيث يعتبر مار جريس المتعدد واحداً، لأن التدوين يتم من الذاكرة الشعبية الحافظة. فبين ابطال الحكايات الثلاث، ليس من جامع إلا الإسم المنحدر من عشيرة واحدة. وإذا اردنا إعطاء مثل معاصر على ذلك، نأخذ حكاية رمز بطولي في مناطق قريبة من البداوة، مثال: سلطان باشا الاطرش، او ملحم قاسم المصري. الأول له مآثر عام ١٩٢٠ في ما سمي ثورة العشرين ضد الفرنسيين، والثاني له حكايات ايضاً في بعلبك مع الفرنسيين والدولة. وإذا ما سألنا اليوم، كم من احفاد سلطان الاطرش وملحم قاسم يحملون الإسم نفسه، لربما وجدنا ثلاثة او أربعة. وإذا ما افترضنا اننا لسنا في عصر التدوين والإعلام المرئي والمسموع والمكتوب، وأن الاحداث تتراكم في الذاكرة الشعبية فقط، التي تنقلها شفاها من جيل إلى جيل، وإذا ما افترضنا انه بعد ٥٠٠ عام، وبعد ان يكون عشرات من الأفراد قد

حملوا إسم سلطان الاطرش وملحم قاسم، وبين هؤلاء إثنين او ثلاثة كانت لهم مآثر واحداث وحكايات، فإن الذاكرة الشعبية تدمج حكايات الأفراد المتعددين واحداثهم باسم واحد وبشخص واحد دونما تحقيب زمني، وبإضافات واختصار ايضاً.

وهكذا كانت زجليات التوراة تدمج الشخصيات المتعددة ذات الإسم الواحد بشخصية واحدة تمنحها اعماراً بمئات السنوات، وكذلك كانت حكايات مار جريس التي تبقى في اطرها الثلاث حكايات محببة وهامة، تحتوي رمز الجهد والتصميم على اعادة تعمير الأراضي، ورمز المخلِّص والمضحّي لأجل الشعب، ورمز الشهادة من أجل المعتقد، كما تدل على أن عشيرة جريس عشيرة يمنية الأصل توزعت المنطقة العربية. وإذا كانت البابوية قد رأت ان مار جريس ليس قديساً، وانزلته من صفوف القديسين، فإن شعوبنا عندما صاغت قديسيها لم تنتظر قراراً رسمياً من سلطة ما. ومن الامثلة المعاصرة على صناعة الشعب لقدّيسيه، ان محي الدين الحلاج الصوفي الذي اعدم عباسياً بتهمة الزندقة والكفر، تحول ضريحه إلى مزار للشفاعة والتبرك، لفت إنتباه «امين الريحاني» في زيارته للعراق في الثلاثينات، كما ان ضريح القاضي «احمد ابن علوان» في اليمن تحول إلى محجة للمؤمنين لمجرد انه كان عادلاً وضد السلطات.

ورغم ان قدسية مار جريس كانت منتشرة يونانياً وترتبط بحراثة الارض والإخضرار، إلا ان السائد اليوم في الموسوعات

الغربية قصة مار جريس المصري الذي قتله الرومان، دونما اشارة إلى مار جريس والتنين.

واخيراً، عثرنا على اجزاء من زجليات لبنانية، تتوافق من حيث المضمون واحياناً من حيث النص مع مضمون ونص الزجلية الفلسطينية. وقد استقينا هذه النصوص من ذاكرة الصديقين: طانيوس مرعب وجوزف عيد.

وكما في النص الفلسطيني طلب من ملك بيروت ان يقدم ابنته اضحية للتنين، كذلك عندنا، حيث جاء:

يا ملكنا صار دورك

قدِّم بنتك دستورك

قدِّمها للثعبانة

والتنين هنا هو الثعبان كما تصوره رسومات مار جريس والإيقونات التاريخية.

اما النص الثاني وهو مختلف الوزن عن الأول، يشمل الحوار بين مار جريس وابنة الملك، عندما انبرى مار جريس لمصارعة التنين (الحوت البحري). تقول الزجلية الحوارية:

وانت إن غِبتْ عن نظر العُيَّانْ

بيبلعكّ لو كنت راكب عا هجينْ

جريس بقى مسنود عا ظهر الحصان

وقلّها، وحْياة رب العالمين

رَحْ اقتله بالرمح والسيف اليمانْ

إنتْ وعيوني بسّ يبقوا شاهدينْ

عند ذاك الوقت قد هاج الركان

ومن صدر ذاك البحر قد بانْ اللعينْ

هاجِمْ عا مار جريس ومن فمُّه دخانْ

جريس اتاه بقوة الرب المعينْ

بوسط فَمُّه شك رأس الأسطوان

والبنت صاحت ريتها تِسلمْ ها ليمين

وهكذا تظل الثقافة الشعبية ذات دلالات اشد صدقاً احياناً من النقوش الحجرية.

تعريف بالاعلام

- آريوس.

كاهن من الاسكندرية أعلن عام ٣٢٠ تقريباً، ان المسيح كلمة الله، لكنه غير مساوٍ للآب من حيث الجوهر. فاذا كان الإبن من نسل الأب، فلا بد ان تكون ولادته في زمن. وعلى هذا لا يمكن ان يكون الإبن متفقاً مع وجود الآب في زمن. وانتشر هذا المذهب باسم الآريوسية التي وضع عليها الحرم في مجمع نيقيه عام ٣٢٥، فاحرقت كتبه واضطهد أتباعه. وعند تولي العرش من

قبل قسطنطين الثاني، مال إلى آراء آريوس واضطهد معارضيه.

- ابراهيم احمد المقحفي.

كاتب يمني معاصر، له كتاب «معجم المدن والقبائل اليمنية» اعتمد فيه على المعاجم السابقة وعلى ما ذكره المؤرخين وحواشي المحققين وسجلات الاحصاء السكاني. صدر عام ١٩٨٥ عن دار الكلمة في صنعاء.

- ابن المجاور الدمشقي.

دمشقي كتب عن رحلته إلى الحجاز واليمن عام ١٠٠٠هـ. وقد صدرت بعنوان: «صفة بلاد اليمن ومكة والحجاز، المسماة تأريخ المستبصر لإبن المجاور» وقد اعتنى بتصحيحه «اوسكر لو فقرين». صدر عن دار التنوير، بيروت، ١٩٨٦ . وفي هذه الرحلة وصف لمدن وقرى وعادات تاريخية ظلَّت مع إعتناق الإسلام.

- احمد فخري.

مؤرخ مصري، كتب «اليمن بين ماضيها وحاضرها» وذلك بعد زياراته لها اعوام ١٩٤٧ - ١٩٤٩ .

- احمد وصفي زكريا.

مهندس سوري له كتاب «عشائر الشام» صدر في طبعته الثانية عام ١٩٨٢ في دمشق، وفيه دراسة هامة للبنية الإجتماعية البدوية، ورصداً للعشائر وافخاذها وبطونها في البادية الشامية.

- الإخشيدية.

الدولة الاخشيدية ٩٣٥ - ٩٦٩م. أسسها ابو بكر الإخشيد الذي كان والياً من قبل الدولة العباسية على مصر. لكنه استقل عن العباسيين وضم سوريا وبعض اجزاء الحجاز إلى مملكته. وكان السلطان الرابع بعده كافور الاخشيدي. وقد سقطت الدولة هذه امام الخلافة الفاطمية.

- اسطفان الدويهي.

١٦٣٠ - ١٧٠٤ . شغل منصب بطريرك الموارنة في لبنان وسائر المشرق. له إضافة إلى كتابه: «اصل الموارنة» الصادر في اهدن عام ١٩٧٣ بتحقيق الأب انطوان ضو الانطوني، مؤلفات منها: «رد التهم» - «تاريخ الأزمنة» - «منارة الأقداس».

- احمد عويدي العبّادي.

ضابط في الجيش الأردني من عشائر العبّاد. اصدر في عمان منذ ١٩٧٣ «المرأة البدوية والمناسبات البدوية»، «من القيم والآداب البدوية»، «من الأدلة القضائية عند البدو». وكان كتابه السادس في سلسلة «من هم البدو» كتاب: «مقدمة لدراسة العشائر الأردنية» الذي صدر عام ١٩٨٥ في طبعة ثانية. والكتاب الأخير يحتوي ابحاثاً عميقة في القبائل والعشائر ومعيشتها وعلاقاتها، ورصداً للعشائر والبطون الأردنية.

- إغناطيوس يعقوب الثالث.

عضو مجمع اللغة العربية في دمشق. بطريرك انطاكية وسائر المشرق. اصدر كتابه: «البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية»، وذلك عن دار الكريم، جونية.

- الأقباط.

الأقباط اصل سكان مصر. ففي «تاريخ هيرودوتس» العائد لعام ٤٩٦ ق.م. يذكر مصر باسم بلاد القبط، وهي التسمية نفسها التي ما زالت في اللاتينية وما اشتق منها من لغات اوروبية (أجبت). واطلاق إسم مصر عليها جاء بعد الفتح الإسلامي في القرن السابع ميلادي. كانت للأقباط لغة ولهجات وكتابة. وهم أبناء الكنيسة المسيحية المصرية، وقد انتشرت المسيحية لدى الأقباط منذ البدء وتعرضوا كسائر المسيحيين للإضطهاد حتى إعلان المسيحية كدين الدولة أيام

الامبراطور قسطنطين. وكان بن يامين بطريرك الأقباط عند الفتح الإسلامي.

- إمارات جنوب اليمن.

استولت بريطانيا على عدن في ثلاثينات القرن الماضي. وظلت تتعامل مع القبائل كإمارات شبه مستقلة وذلك حتى رحيل بريطانيا عام ١٩٦٨ حيث قسمت جنوب اليمن إلى محافظات. ومن الإمارات والسلطنات السابقة: لحج - الحواشب - العوالق - الفضلي - الواحدي - دثينة - بيحان - الصبيحي - الضالع - ردفان - يافع - الشعيب - المفلحي - العلوي - العواذل - حضرموت - مرخة - القعيطي.

- امبراطورية اليونان.

نسبة إلى بلاد اليونان، شهدت عصراً مزدهراً بين القرن الخامس والرابع قبل الميلاد، استوعبت حضارات الآخرين

في الشرق. انتجت الفلاسفة: أَنَكْسِمَاسْ، ديمقريطس، افلاطون، ارسطو، افلوطين... الخ وأنتجت قوانين ومؤسسات دستورية، وعلماء في الرياضيات والعلوم والملاحم الشعرية. وكانت السيادة بعدها للدولة الرومانية.

- امبراطورية الرومان.

نسبة لروما. وقبل نشوئها كانت إيطاليا تتألف من مجموعات ثلاث: الليغوريين - الإيطاليين - الدوريين، ومن هؤلاء خرج الاغريق الذين نشروا الأبجدية الفينيقية في دولة اليونان. اما الذي انشأ روما فهم الاتروسكيون الذين قدموا من آسيا الصغرى (تركيا حالياً) وتوالوا على سلطتها الملكية حتى اعلنت الجمهورية عام ٥٠٩ ق.م مع مؤسسات دستورية تشريعية. توسعت الدولة الرومانية إلى افريقيا الشمالية واسبانيا الفينيقية واليونان وحاربت في فارس والعراق.

أُعلنت الامبراطورية عام ٧٣ ق.م. ثم انقسمت إلى شرقية وغربية. وظهرت القسطنطينية (اسطانبول) على يد قسطنطين الامبراطور عام ٣٢٤ م. عانى المسيحيون اضطهاداً بشعاً قبل ان تتحول الامبراطورية إلى المسيحية. ومع انتشار الإسلام تراجعت إلى انطاكيا، حيث استمر الصراع مع الأمويين. ولم تسقط القسطنطينية إلا عام ١٤٥٣ على يد محمد الفاتح العثماني. من اشهر اباطرتها: اوغسطس - نيرون - سبتيموس سفيروس - كركلا - دقلديانوس - قسطنطين - هرقل، الذي ارجع الفرس عن بلاد الشام قبل الإسلام.

- أميانُس مارقِلّينُس. Ammianus Marcellinus

مؤرخ لاتيني يوناني الاصل عاش منتصف القرن الرابع.

- الأناجيل.

الإنجيل كتاب سيرة السيد المسيح، وضعها تلامذته في اربعة نصوص وهم: متّى - لوقا - مرقص - يوحنا. وبين الاناجيل الأربعة ليس من اختلافات تذكر. وقد تم تدوينها باليونانية ثم اعيدت ترجمتها إلى العربية الفصحى. وإذا كان السائد اليوم ان تسمى الاناجيل مع رسائل الرسل «بالعهد الجديد»، وان تلحق بالتوراة المسماة «العهد القديم»، فإن الأناجيل لا علاقة لها بالتوراة. فالإله السماوي القادر، والحساب، والجنة وجهنم، مفاهيم واردة في الاناجيل وغير موجودة في التوراة. والشائع ان الانجيل كلمة لاتينية تعني ابن البشارة، لكننا في الفصل الأول بيّنا منطلقها في اللهجات العربية.

- انيس فريحة.

باحث لبناني راحل، من مواليد ١٩٠٢

رأس المتن. درَّس في عدة جامعات، واصدر حوالي دزينة من الكتب منها: دراسات في التاريخ - إسمع يا رضى - اسماء المدن والقرى اللبنانية - القرية اللبنانية، وترجم اوغاريت... تتسم معظم ابحاثه بمنهج اعتبر اسماء القرى تعود إلى تسميتها الجغرافية وليس إلى العشائر.

- إيزيس.

معبودة مصرية قديمة، تمثل ظلاً للأم الاولى كإلهة للزرع والخصب والجنس...

- الأيوبية.

الدولة الأيوبية، نشأت مع الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب عام ١١٧٤ في مصر بعد ان ازاحت الفاطميين، وامتدت إلى سوريا واليمن وخاضت معارك مع الحملات الصليبية.

- البابا ليون العاشر.

ويكتب ايضاً لاون العاشر ١٥١٣ - ١٥٢١، البابا رقم ٢١٦ الذي تسنم كرسي الكنيسة، وقد خلف البابا يوليوس الثاني.

- البارثيون.

شعوب يعتقد ان منبتها شمال العراق، شغلت دوراً سياسياً وعسكرياً واضحاً عام ٤٠ - ٣٨ ق. م. بمحاولة السيطرة على بلاد الشام وانتزاعها من اليونان.

- باخوس.

إله عبده اليونان، وسماه الفريجيون والتراقيون ديونيسيوس كإله للخصب، وكانت له معابد تقدم فيها اضحيات ضمن طقوس للتعري وخاصة من قبل النساء. ولم يعرف متى تمت عبادته التي تطورت ضمن إحتفالات دراماتيكية على شرفه. كما اعتبر فيما بعد كإله للخمر. وكان اليونان يسمون تلك

العبادة البكاناليه، وتشير الموسوعة العالمية البريطانية ان باخوس من بكّه. لاحظ العلاقة بين الخصب الجنسي ومعنى كلمة بكّ وباكوس وباخوس.

- برنابا.

يوجد قديس يسمى برنابا كان رفيقاً مبشراً مع القديس بولس. في حين ان إنجيل برنابا وضع بالايطالية بين ق ١٣ و ١٦ .

- بطاركة الموارنة.

يوحنا مارون السرومي، قورش، يوسف الجرجسي، غريغورس الحالاني، يعقوب الراماتي، إرميا العمشيتي، سمعان الثاني، دنيال الحدشيتي، إرميا الدملصي، جبرائيل من حجولا، يوحنا الجاجي، سمعان الحدثي، موسى العكاري، ميخائيل الرزي، سركيس الرزي، يوسف الرزي، يوحنا مخلوف، جرجس عميرة، يوسف العاقوري،

يوحنا الصفراوي، جرجس السبعلي، اسطفان الدويهي، يعقوب عواد، يوسف الخازن، سمعان عواد، يوسف اسطفان، يوحنا الحلو، يوسف حبيش، يوحنا الحاج، الياس الحويك، انطون عريضة، بولس المعوشي، انطونيوس خريش، نصرالله صفير.

- بطليموس.

ولد في الإسكندرية بين ٩٠ - ١٦٨م، سماه العرب المجسطي نسبة لمؤلفه، وكانت له نظرية ان الارض ثابتة والافلاك تدور حولها.

- بليني.

ويسمى بلينوس الأصغر ٦٢ - ١١٣م. اديب ترك مجموعة رسائل تصور حياة مجتمع روما في القرن الأول.

- بني مذجح.

عشيرة من كهلان اليمنية انتشرت خارج اليمن ايضاً. من بطونها: سعد العشيرة بتهامة، صُلى جنوب مكة، بنو عبد المدان في نجران، الرهاء، صداء، شمران، سنحان، بنو عبيدة، الحكم بن سعد العشيرة، صعب، حرب، جعفي، ابيس، سعد، زبيد، اود، مازن، مراد، عنس، الحارث بن كعب، بنو الريان. ومن المعلوم ان اول كنيسة شيدت عام ٣٠م في الرها شمال سوريا بمملكة الإبجر الاسود واخوه معنو. والرها بطن من مذحج كما ورد في المتن.

- ترشيش.

ترشيش ومجدل ترشيش قرى في منطقة المتن من جبال لبنان، والنسب عندهم التراتشة. لكن كتابات «يولي تسيركين» عن «الحضارة الفينيقية في إسبانيا» تؤكد كما «ول ديورانت» في «قصة الحضارة» ان ترشيش كانت

مرفأً جنوب اسبانيا. وبالتالي فإن رحلة النبي يونان في التوراة، الذي بلعه الحوت، ويسمى عربياً ذو النون - اي صاحب الحوت، كانت من شواطئ عمان (كما يشير كمال الصليبي في «خفايا التوراة» نحو ترشيش في إسبانيا. وهذا يؤكده ايضاً هيرودوتس في تاريخه الذي ترجمه حبيب افندي بسترس منذ مائة عام، والذي اورد ان البحارة الفينيقيون كانوا يبحرون من شواطئ اليمن حول افريقيا عبوراً باعمدة هرقل (مضيق جبل طارق).

- ترتليان.

او ترتليانوس ١٦٠ - ٢٢٠م، لاهوتي أيد مذهب مونتان الذي قال بمجيء الوحي على ما يسمى «الباراقليط».

- جبرايل الصهيوني.

لاهوتي ماروني (١٥٧٧ - ١٦٤٨) بدأ حياته الأدبية مدرساً للسريانية

والعربية في كلية سابِينَزْا Sapiencia في روما. إنتقل إلى باريس ايام لويس الثالث عشر ليدرّس في الكلية الملكية. نشر التوراة بالسريانية وتعرف هذه التوراة بالتوراة المتعددة. وعندما نشرت التوراة المتعددة اللغات في لندن، استعان مترجموها بتوراة باريس التي كان قد جمعها الصهيوني. (راجع كتابنا «التوراة العربية واورشليم اليمنية»).

- جبرايل القلاعي.

(١٤٥٠ - ١٥١٦)، شغل منصب اسقف قبرص للموارنة. زار روما. له زجليات تاريخية نشرها المطران بطرس الجميل بعنوان: زجليات ابن الإقلاعي.

- الجوهري.

الشيخ ابا نصر إسماعيل بن حماد، المتوفي حوالي ٣٩٣ - ٣٩٨هـ. له معجم «تاج اللغة وصحاح العربية» المعروف بالصحاح.

- الحرب الأهلية التركية الارمنية.

كانت ارمينيا ضمن الدولة العثمانية، وكان الأرمن في ثنايا المجتمعات المنضوية تحت لواء الدولة العثمانية، مع تجمع هام في قيليقيا شمال سوريا الساحلي كبقية لإمارة قديمة. في الربع الأخير من القرن الماضي وبتأثير قوى الغرب الرأسمالي لوراثة الدولة العثمانية، نمت النزعات القومية ومنها الأرمنية. وإذا كان للأرمن توق للإستقلال، إلا ان المصالح الغربية إستطاعت إدارة هذا الصراع في حرب اهلية ارمنية - تركية، انتهت باجلاء ارمن قيليقيا إلى سوريا ولبنان وفلسطين ومصر، وقتل مئات الالوف في آسيا الصغرى، وذلك بعد ان استولت بريطانيا على نفط العراق، ونالت الولايات المتحدة حصة فيه، وتراجعت فرنسا من الاسكندرون وتركت الأرمن ليذبحوا اثر اتفاقات مع تركيا. (راجع «من البداية

حتى التهجير»، منشورات الحلقة الأدبية الأرمنية ١٩٩٣).

– حضرمنتم.

حضرمنتم في تاريخ هيرودوتس مدينة تونسية تسمى اليوم سوسة. ومن المعلوم ان حضرموت منطقة في جنوب اليمن غنية بالآثار، عبرها بعض انبياء التوراة، وخضع اسمها لتبدلات حسب سيادة لهجة السادة. وقد ورد إسمها في النقوش اليمنية: حضرن، تطورت إلى حضرام بابدال النون ميماً كما في ابراهين – ابراهيم. قريباً من حضرموت يقع قبر النبي دانيال والنبي هود وشمالها تيه أيين، ومن مدنها سيئون. فهل هي صهيون خاصة ان اللهجة العبرية تبدل الهمزة ياء. وغير بعيد عنها تقع حبرون التي ما زالت باسمها التي دفن قربها النبي ابراهيم حسب التوراة الحاضرة.

– دقلديانوس.

يرد احياناً دقيانوس او ديو قليز – ديو قليش – ديوقليتيانس (٢٤٥ – ٣١٣). امبراطور روماني بين ٢٨٤ – ٣٠٥م، شن حملة على اليمن، ونظم ابشع المجازر بحق المسيحيين في بلاد العرب والامبراطورية.

– الدونائية.

نسبة لدوناتس الذي كان اسقفاً لقرطاجة عام ٣١٥م. انشأ بدعة حملت إسمه وعرفت بتصلبها مع الخطاة.

– ذو نؤاس.

احد ملوك حمير اليمن، حكم اليمن بين ٥١٥ – ٥٢٥م. ويسميه اليونان دميانوس. وكانت اليهودية منتشرة في اليمن إلى جانب المسيحية. وفي عصر ذو نؤاس تم تنظيم مجازر ضد المسيحيين وتهديم كنائس في حضرموت وشمال اليمن. وقد

اوردت السور القرآنية عن احراق المسيحيين في الأخاديد. ولم ينته حكم ذو نؤاس إلا بالغزو الحبشي.

- الرازي.

ابو العباس احمد بن عبدالله بن محمد الرازي المتوفي ١٠٦٨م في صنعاء. كان صاحب كتاب «تاريخ مدينة صنعاء» الذي حققه حسين عبدالله العمري عام ١٩٨١، وقد ذكر في كتابه ان السيد المسيح جاء صنعاء، وبنى كنيسة ظلت حتى القرن الحادي عشر ميلادي على طرف بيعة اليهود.

- رضوان السيد.

استاذ في الجامعة اللبنانية، وباحث في الآداب الإسلامية والتاريخية. حاضر في عدة جامعات عربية وغربية وحقق عدداً من المخطوطات، منها: «الأسد والغوّاص» - «قوانين الوزارة وسياسة الرئيس» - «الإشارة إلى ادب الإمارة»،

اشرف على إصدار مجلات دورية، ويرأس تحرير مجلة «الإجتهاد».

- الرها.

وتسمى اورفا، تقع الآن في تركيا على الحدود السورية الشمالية في منطقة ما بين النهرين قرب نصيبين. عاصمة الآداب السريانية حتى القرن السابع. انتشرت المسيحية فيها وشيدت اول كنيسة عام ٣٠م ايام الإبجر الأسود واخوه معنو. والرّها بطن من بطون عشائر مذجح الكهلانية اليمنية.

- رينيه ديسّو.

عالم آثار فرنسي، نشر كتاب «العرب في سوريا قبل الإسلام» بعد ان درس نقوش منطقة الصفا في حوران والتي كتبت باحرف يمنية حميرية، ومن آلهتها: الله، رضى، رحّام، جد عويذ.

- سابيليوس.

السابليه، إجتهاد منسوب إلى سابيليوس الليبي في اواخر القرن الثاني، الذي أُدين في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١، وكان اجتهادها داعماً للآريوسيوية.

- شارلمان.

(٧٤٢ - ٨١٤)، ملك فرنسي مؤسس السلالة الكارولية، كانت عاصمته آخِنْ (إكس لاشابل). حاول التوسع إلى اسبانيا لكنه فشل عام ٧٧٨ .

- صور.

مدينة لبنانية تاريخية، ومرفأ فينيقي. يعود إسمها لإسم عشائر الصور التي توزعت المنطقة ومنها: صُور في شهارة اليمن، وصور مرفأ في عُمان على مدخل الخليج العربي، وصور اللجاة، والصورة الكبيرة، صوران، صورية في

سوريا، وصوران وصوراته قرى لبنانية، صورباهر قرية في القدس، والصور إسم نبع في نابلس والخليل، والصورة إسم وادٍ قرب القدس. وخربة الصور في الخليل، وكفرصور وغابة صور في طولكرم.

- الطبري.

ابي جعفر محمد بن جرير الطبري، مؤلف «تاريخ الرسل والملوك» المتوفي ٣١٠هـ - ٩٢٣م. من كتبه: جامع البيان في تأويل القرآن، وتهذيب الاثار، واداب القضاة، واختلاف الفقهاء، وتاريخ الرسل والملوك، والبعض يطبعه بعنوان تاريخ الامم والملوك. اول ما طبع في ليدن عام ١٨٨٥ ثم توالت طبعاته العربية، ويقع في عدة اجزاء تصل إلى ١٤ مجلداً.

- عبدالله البردوني.

شاعر يمني معاصر، ومن اشهر شعراء اليمن الحاليين. فقد البصر صغيراً وما فقد البصيرة. له مؤلفات عدة منها: «فنون الأدب الشعبي، وقضايا يمنية» إلى جانب كتابات اسبوعية ودواوين منشورة.

- عبد القادر الجزائري.

الأمير عبد القادر الجزائري انشأ عام ١٨٤٤ دولة امير المؤمنين في الجزائر في القسم الغربي من جبال الجزائر، وذلك بعد ان استولت فرنسا على مدينة الجزائر عام ١٨٣٠ وعام ١٨٣٧ على قسنطينة. هادن عبد القادر الفرنسيين واستطاع رئاسة اتحاد لقبائل العرب والبربر، واعلن دولته الإسلامية عام ١٨٣٩ وخاض حرباً على الفرنسيين حتى عام ١٨٤٧ حين سقطت الدولة الإسلامية التي انشأها. وبعد فترة تحول

إلى صديق لفرنسا واصبح إبنه خالد ضابطاً في الجيش الفرنسي، ومن ثم انتقل إلى دمشق حيث انتظر ان تؤسس له فرنسا إمارة سوريا ولبنان وفلسطين التي كانت وراء اندلاع الحرب الأهلية الطائفية في جبل لبنان والتي امتدت جزئياً إلى دمشق. لكن بريطانيا افشلت المحاولة.

- عبد اللطيف البرغوتي.

كاتب فلسطيني معاصر ولد في كفرعين محافظة القدس عام ١٩٢٨، استاذ في جامعة النجاح في مدينة نابلس، أصدر عدة مؤلفات تهتم بالثقافة الشعبية، منها: «الأغاني الشعبية في فلسطين والأردن» واشرف على اصدار «ديوان الدلعونا الفلسطينية» عام ١٩٩٠ .

- عزيز/العزّى.

عزيز احد آلهة العرب القدامى، وكان

إله للشمس، الذي كانت معابده تمتد من اليمن إلى الحجاز إلى مصر وبعلبك واليونان. ويؤكد هيردوتس في تاريخه الشهير ان عبادة زيوس إله الشمس انتقلت إلى اليونان من بلاد المشرق. وعزيز والعزَّى وزيوس إسم واحد.

- عمر بن عبد العزيز.

(٦٨١ - ٧٢٠م)، احد الخلفاء الأمويين، اشتهر بالتقوى والتسامح. وهو صاحب القول: «ما جاء الإسلام جابياً بل هادياً». ويورد ابن الجوزي ان عمر بن عبد العزيز كان يلبس الثياب العادية المرقعة ويختلط بالرعية اختلاطاً كان يعسر معه على من يقصده لرفع ظلامته إليه، ان يميزه من بينهم. وقد الغى الضرائب على المسلمين غير العرب المفروضة منذ ايام الحجاج.

- عمرو بن كلثوم.

توفي نحو ٥٨٤م. شاعر مسيحي من

شعراء وزعماء عشائر تغلب، ومن اصحاب المعلقات التي يقال انها كانت تعلق على استار الكعبة. وكانت مواضع تغلب في شمال البادية الشامية غير بعيد عن حماه وحمص. ومطلع معلقته:

الا هبي بصحنك واصبحينا
ولا تبقي خمور الأندرينا

- الغساسنة.

عشائر عربية يمنية الأصل، كان لها مرفأ في تهامة على البحر الأحمر ذكره بطليموس اواسط ق٢ م. ترجع في نسبها إلى كهلان التي منها بني مذحج في الرها. قال عمرو بن معدي كرب اليماني ان غسان «اقتلنا للجبابرة واملأنا للمنابر»، وغيره يسميهم: ارباب الملوك. وتنسب غسَّان إلى كهلان بن سبأ. ومن بطون كهلان: طي والأشعر وبجيلة وجذام والأزد وعاملة وكنده ولخم ومذحج وهمدان. ومنهم: مازن

وغسان ومزيقا والأوس والخزرج وخزاعة. ومن لخم: المناذرة في العراق. وقد كان لغسان في الشام ملوكٌ في بصرى (البلقاء وحوران) بلغ عددهم في دولة الروم حوالي ٣٢ ملكاً في ٦٠٠ عام على رواية حمزة الأصفهاني و٤٠٠ عام على رواية ابو الفداء. منهم: جفنة بن عمرو مُزيقاه، الحارث بن ثعلبة وابنه جبلة والنعمان بن الحارث، والنعمان بن عمرو والمنذر وجبلة الرابع وآخرهم جبلة بن الأيهم. وعشائر غسان عشائر مسيحية، ساندت دولة الروم في ضبط العرب في البادية وفي مساندتهم ضد الفرس. وبطون غسان وعشيرتها كهلان توزعت بلاد الشام.

- فيثاغورس.

عالم رياضيات يوناني عاش في القرن ٦ قبل الميلاد، كانت له فلسفة في

الزهد وان حركة الكون مبنية على الحساب وان الأرواح قابلة للتناسخ.

- فيلو السكندري.

ولد في الاسكندرية ٢٠ - ٥٠ ق.م. حاول المزاوجة بين اليهودية والفلسفة اليونانية.

- فيلوستراتس.

يوناني صوفي (١٧٠ - ٢٥٠م) انتقل إلى روما، وكتب الحياة الرومانسية لأبولينوس وكان ذلك ايام جوليا دمنة زوجة سبتيموس سفيروس الامبراطور. وقد ذكرنا في المتن لمحة عن ابولينوس.

- قس بن ساعدة.

توفي عام ٦٠٠ . كان اسقفاً لنجران شمال اليمن حيث كنيسة نجران المنسوبة إلى بني النجار. وكان من خطباء سوق عكاظ قبل الإسلام.

- القديس بطرس.

واسمه الاساسي سمعان بن يونا. وفي الاناجيل اطلق عليه السيد المسيح لقب الصخرة. وبطرس من بتر، والبتراء الصخور المشققة. كان من تلامذة السيد المسيح الذين وصلوا إلى روما حيث صلبه نيرون. وكان يسمى الكريستياني.

- القديس بولس.

وبولس إسم عشيرة يمنية كما اوردنا في متن الكتاب. ورسائله الملحقة بالأناجيل وضعت قوانين العبادة المسيحية ونظمت حياة المسيحيين وسلوكهم. سجن في القدس وسيق إلى روما حيث اعدم عام ٦٧م. وبلغ عدد الرسائل التي وجهها إلى الكنائس المتعددة ١٤ رسالة.

- القوط الشرقيين.

فرع من شعوب استقرت في وادي

الدانوب في اوروبا. هاجموا روما واسسوا مملكة لهم اواخر القرن الخامس م.

- قيس الماروني.

الف تاريخاً منذ بدء الخليفة حتى ٩٠٨م. لكنه لم يصل منه شيء سوى ما ذكره الذين اطلعوا عليه في ثنايا مؤلفاتهم.

- كمال الصليبي.

مؤرخ لبناني، واستاذ التاريخ في الجامعة الاميركية، ومحاضر في جامعات عربية ودولية، له مؤلفات عدة عن تاريخ لبنان، منها «منطلق تاريخ لبنان» و«تاريخ لبنان الحديث». ثم كانت له الريادة في الإشارة إلى مسرح التوراة في كتابه «التوراة جاءت من جزيرة العرب» ثم «خفايا التوراة» و«حروب داوود» ثم صدر له في تاريخ لبنان: «بيت بمنازل كثيرة».

- المجامع المسكونية.

كانت المسيحية ديناً منتشراً في مصر وليبيا وتونس وبلاد الشام والجزيرة واليمن، وبغياب دين الدولة الرسمي، كانت المسيحيات الشعبية متمحورة في مجتمعاتها. وبعد الإضطهاد وتحول الامبراطور قسطنطين الكبير ٢٧٤ - ٣٣٧م إلى المسيحية واطلاق حريتها عام ٣١٣م، اسس القسطنطينية ودشنها عام ٣٣٠م. وبعد تحول المسيحية إلى دين للدولة كانت المجامع المسكونية لإرساء مفاهيم واسس دين الدولة. فكان مجمع نيقيه الذي حرم آراء آريوس عام ٣٢٥، ومجمع القسطنطينية ٣٨١ الذي حرم آراء مقدونيوس، ومجمع افسس ٤٣١ الذي حرّم اراء النساطرة. وتوالت المجامع اعوام ٤٥١، ٥٥٣، ٦٨١ إلى ايامنا الحاضرة.

- محمد بن علي الاكوع الحوالي.

مؤرخ وقاضٍ يمني معاصر، له عدة

مؤلفات منها: «اليمن الخضراء مهد الحضارة، الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٣، تاريخ اليمن الإجتماعي، عالم وامير، صفحة من تاريخ اليمن المعاصر المجهول». حقق مخطوطات مؤرخين يمنيين وخاصة كتب: «الإكليل» و«صفة جزيرة العرب» للهمداني، و«السلوك في طبقات العلماء والملوك» للجندي. وتبلغ الكتب التي حققها ١٥ كتاباً اضافة إلى عشرة مخطوطات ستصدر تباعاً.

- المسعودي.

علي بن الحسين. توفي عام ٩٥٦ . مؤرخ وجغرافي ورحالة عربي. ولد في بغداد، طاف بلاد الشام واطراف الدولة الإسلامية، وتوفي في مصر. له «مروج الذهب ومعادن الجوهر» و«التنبيه والإشراف».

- النساطرة.

نسبة إلى نسطور (٣٨٠ - ٤٥١). ولد في قيصرية سوريا، وشغل منصب بطريرك القسطنطينية عام ٤٢٨ . قال باقنومين للسيد المسيح، وانكر لقب ام الله على السيدة مريم. حرمت آراؤه في مجمع افسس عام ٤٣١، والذين اتبعوا ارائه سموا النساطرة او الآشوريين، كانوا يقطنون شمال الموصل عبر كردستان حتى ارمينيا، حيث اصيبوا بالنكبات في الحرب العاليمة الأولى. انضم قسم من النساطرة إلى بابوية روما في القرن السادس عشر وسمُّوا الكلدان.

- هيرون.

يسمى ايضاً هيرون الإسكندري حوالي القرن الأول الميلادي. رياضي فيزيائي، اكتشف عدة قوانين لإنعكاس الضوء.

- يشوع بن نون.

صاحب سفر يشوع في التوراة خلف موسى في زعامة العشيرة. وهو صاحب موسى في الآيات القرآنية. وحسب التوراة هاجم يشوع بن نون حصن أريحا وعيا. وما زال حصن يراخ (بلهجته العبرية) وحصن عيَّانه غرب صنعاء. وحتى تاريخه يوجد قبر يشوع بن نون في جدرين من جبل عيبان، ويزوره اليمنيون ويوقدون له الشموع.

- يعقوب البرادعي.

اسقف الرها ٥٤١ - ٥٧٨، تنتسب اليه طائفة اليعاقبة من السريان. قارع آراء المجامع الكنسية الرسمية، واضطُهد اتباعه. في القرن ١٧ تكونت كنيسة السريان الكاثوليك واتبعت روما.

ثبت باسماء الأعلام والعشائر والأماكن

- أ -

- ب -

- ج -

- ح -

— خ —

— د —

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

– ي –

الفهرس

الصفحة

الكاتب ومؤلفاته

المؤلف:

فرج الله صالح ديب، من مواليد كفرشوبا - العرقوب ١٩٤٣ . مارس الكتابة منذ ١٩٦٥، ونشر ابحاثاً في الدوريات اللبنانية مثال مجلات (دراسات عربية، فكر، الفكر العربي). نشر ابحاثاً في الصحف والمجلات اللبنانية (الحرية - ملحق النهار - النهار - ملحق الانوار - بيروت المساء...).

صدر له عدة كتب منها:

- القرية وسوسيولوجيا الإنتقال إلى السوق
- المرأة العربية والانتاج
- الماركسية والفلسفة الإسلامية - مشاركة مع آخرين
- حول اطروحات كمال الصليبي
- اليمن هي الأصل - الجذور العربية للاسماء - لبنان
- اليمن هي الأصل - معجم معاني واصول اسماء المدن والقرى الفلسطينية
- من البداية حتى التهجير - محطات في نضال الشعب الأرمني
- التوراة العربية واورشليم اليمنية (مؤسسة نوفل)
- الثقافة الشعبية في بلاد الشام (قيد الاعداد للنشر).

فرج الله صالح ديب

المسيحية والمسيحيون العرب
وأصول الموارنة

لأن التاريخ أداة صراع بين الطوائف – العشائر اللبنانية، ولأننا نطمح الى صناعة وطن، فإننا نسعى دائماً الى تحقيق وحدة النظرة التاريخية التي غُيِّبَتْ بفعل تأخر التأريخ لدينا. وهذا الكتاب بفصوله الثلاثة يتناول المسيحية في نشأتها ودور المسيحيين العرب وأصولهم، والتعامل معهم خلال الدول الاسلامية المتعاقبة ومضمون هذا التعامل. ويتناول تصحيحاً لما هو مُسَوَّد في الادبيات عن أصول عشائر الموارنة. وأخيراً يتناول حكايات مار جريس ودلالاتها التاريخية.